الأدب الأوزبكي

بين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر الهجري (القرن السابع عشر والقرن العشرين الميلادي)

١- الوضع السياسي والاجتماعي والروحي والأدبي في العصر الذي تشمله الدراسة: «عظيم خواجه إيشان، وبابا رحيم مشرب، وصوفي الله يار، محيّر، وهويدا، ونادرة، وعويسي، وآكهي»

٢- الغزو الروسي وتأثيره على الأدب الأوزبكي: «فيروز، وكامل الخوارزمي، ومقيمي، وفرقت، وعوض أوتر، ودلشاد برني، وذوقي، وحمزة، وتولّى، وعبد الله أولاني».

١- الوضع السياسي والاجتماعي والأدبي في العصر الذي تشمله الدراسة:

بعد انهيار الدولة العظيمة التي أسسها الأمير تيمور، حلّت بهذه البلاد الواسعة أزمة اجتماعية - سياسية، أدت إلى انحطاط الثقافة والأدب والعلوم، وتميزت هذه المرحلة التي نشبت فيها الحروب الأهلية بظهور ثلاث خانيات مستقلة هي بخاري، وقوقند، وخيوا، فتغير مستوى حياة الشعب وانهار الوضع الاقتصادي، وفي هذه المرحلة بالذات استولى القيصر على البلاد التي ظلت تتنازعها الثورات، وتشكل هذه المرحلة، المرحلة الأصعب من تاريخ الشعب الأوزبكي.

في مرحلة الانحطاط لجأ الناس إلى الدين وإلى الإغراق في الزهد، ووجد الشعب المتعب من الحروب المدمرة الراحة في أحضان الدين، وفي مثل هذه الظروف كان من الطبيعي أن يزداد تأثير علماء الدين ومشايخ الطرق الصوفية، كما أن رجال السلطة أظهروا حماسًا في نشر أفكار هذه الطرق الصوفية، وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر كان للمدارس الدينية الإسلامية العالية دورا كبيرا في الحياة الأيديولوجية، وسعى الحكام الشيبانيون والقرا خانيون لتوطيد تأثير

هذه المرحلة بروائعهم الأدبية.

بعد قيام خانّيات بخاري، وقوقند، وخيوا، استمر تطور الأدب في هذه الدول وظهرت جماعات أدبية مختلفة؛ ففي الجماعة الأدبية القوقندية عاش وعمل: نادرة، وعويسي، ومحزونة، وكول خاني، ومحمود خازك، وأميري، وفضلي، ومقيمي، وفرقت، ومحيي، وذوقي، وعدا، وكامي. وفي الجماعة الخيوية: روشان، ورحيم، وعندليب، ونيشاطي، وموكي، وزيراك، وآكهي، وكامل، وديلوواري، وفيروز، وأوزوات، ودائي، وميري عوض أوتار. وفي الجماعة البخارية: صادق موهشي، وحان محمد جاني، ومحرم عابد، وساينالي، وشوقي، وهرامي وعدد كبير من الشعراء الذين ساهموا بقسط كبير في تطوير الأدب الأوزبكي.

وفي نهاية القرن الرابع عشر عاش وأبدع أدباء وشعراء مشهورون مثل: عنبر آتين، وتولّى، وخزيني، وبهبودي، وأحمد دانيش، وحمزة.

طبعًا، نجد في نتاج جميع الشعراء سابقي الذكر معالجة للموضوعات الدينية؛ لأنه لم يكن من الممكن الخروج على مفاهيم الشريعة في الفترة التي حكم فيها الإسلام، ولكن بعد انتقال تركستان إلى السيطرة الروسية وتحت تأثير الثقافتين الروسية والأوربية ضعفت

المدارس، وأنشأوا عـددًا جديدًا منهـا ومن الجوامع في مـدينة بخارى وطشقند وسمرقند وبلخ"[١].

بعد سيطرة روسيا على تركـستان، دخل التطور مرحلة جديدة وأدى التغير في العالم، خاصة في دول الشرق الأوسط، وغزو الثقافة الأوربية، إلى نمو حـركة المعرفة فـي تركستان، وهدفت هذه الحـركة بالدرجة الأولى إلى دعوة الشعب إلى الثقافة، والمعرفة وامتلاك الثقافة الروحيـة، وشيئًـا فشـيئًا ظهـرت حركة المجـددين التي راحت تطرح المشاكل السـياسيـة، وطُرحت مواضيـع مثل موضـوع الطرق الجديدة للتعليم والتـربية، ونظام التعلـيم الجديد، والمعرفة الثـقافيـة والمسائل التنظيميـة، وكانت هذه التوجهات مـعادية للسياسة الاستـعمارية في المجال الثقافي وعبرت عن توجهات استقلالية.

وفي القرن الرابع عشـر ظهر في الأوساط الثقـافية التركسـتانية عدد من العلماء الموهوبين، والمعلمين والشعراء والرحالة، أثروا بشكل كبير على التطور الثقافي العام لشعبنا[٢].

ولم يتـوقف الأدب عن التطور حـتى في مـرحلة الانحطاط، وظهر في الأوسـاط الشعـبية عـدد كبـير من العظماء الـذين سجلوا أسـمـاءهم في سـجـلات التـاريخ، في هذه المرحلة عـاش توردي، ومشرب، وصـوفي الله يار، وهويدا الذين أثروا الأدب الأوزبكي في

وعن أحكام الشريعة والطريقة، وعن الكمال الروحي والأخلاقي، وعن الموت والحياة، والفقر والغنى، وعن هذا العالم والعالم الآخر، وعن العجرفة والكبر والتواضع، وعن الكفر والإيمان والوضاعة والطيبة وغير ذلك من المسائل الفلسفية والأخلاقية، وبعبارة أخرى حاول الشاعر رسم الطريق الذي يجب على الإنسان السير فيه والقواعد التي يجب الالتزام بها للوصول إلى الكمال.

ويدعو الشاعر بشكل أساسي إلى الالتزام بأحكام الشريعة، ويؤكد على أنه لا يمكن لأي إنسان الانتقال إلى الطريقة دون الالتزام بأحكام الشرع، كما لا يمكن دون الالتزام بأحكام الشرع التوصل إلى العلم والمعرفة[٣].

ويتناول الأديب ضمن موضوعاته ما يلي:

نشر التعاليم الإسلامية، وطلب الرحمة من الله والشفاعة من الرسول ﷺ، ويمكن القول إن كتاب عظيم خوجة يشبه من حيث المحتوى والأسلوب كتابات أحمد يساوي.

لنأخذ مثلاً هذه الحكمة التي يدعو من خلالها الشاعر الناس إلى الصراط المستقيم، والتي يذكرنا محتواها وأسلوبها بشعر أحمد يساوي:

؛يا أصدقائي، صلّوا لله

المواضيع الدينية في الأدب، وظهرت مواضيع انتقاد ممثلي الدين والشيوخ وبعض الشعائر الدينية الإسلامية، إلى جانب الدعاية للحضارة والمعرفة الجديدتين.

وليس لدينا الإمكانية في هذا البحث للتوقف عند نتاج جميع الشعراء الذين عاشوا في تلك المرحلة، لذلك سنتوقف عند نتاج كبار الشعراء، مما سيعطينا فكرة كاملة عن الاتجاهات الأدبية، ومن ضمن هؤلاء الشعراء مشرب، وصوفي أللە يار، وآكهي، وهويدا، ونادرة، وعويسي، ومونس، ومقيمي، وفرقت، وعنبر آتين، وحمزة. وفي حال الحاجة سنلقي نظرة على نتاج مؤلفين آخرين مثال عظيم خوجه ايشان، وكامل الخوارزمي، وفيروز، ومحرم عبيد، وتولّى وغيرهم.

عظيم خوجه إيشان:

نحن حتى الآن لا نملك معلومات أكيدة عن شخصية عظيم خوجة إيشان وحياته، لهذا كنا أمام مشكلة حول تحديد الفصل الذي سندرس فيه إبداع هذا الشاعر، وبعد تفكير طويل قررنا وضعه في صف واحد مع مشرب وصوفي أللە يار، لأن لغة مؤلفاته تعطينا الحق بالظن بأنه عاش وأبدع في نفس الوقت الذي عاش فيه الشاعران المذكوران.

في الحكم كتب الشاعر بشكل أساسي عن جمود العقائد،

لا تستسلموا للتغافل، فهذا سيئ

عيشوا مع التوبة والصلاة

لأن الله لا يحب عيش الآثمين

هذا العالم يخدعكم بغنجه

فابحثوا عن الحياة الخالدة، لتصلوها

وهذا كلام صادق بحق الله

وحب الذات الظالم أغرى كثيرًا من الناس الصادقين

ومن يقض على أنانيته فهو عالم، عارف بالحقيقة

أنا لا أعرف ما سيحدث لي

فحب الذات أكبر عقبة في طريق الإيمان

ومن لم يقض عليه وأصبح متعجرفًا

يبدأ طريقه بتغطرس ويبقى عليها

ومن قضى في نفسه على أنانيته، يحظى بالحياة الأخرى

ومن عرف الدين، نسي الغطرسة والعجرفة"[٦].

وفي حكمة أخرى يجري تصوير العالم وثرواته كأعداء للدين:

"يا قلبي، غض النظر عن شهوات الدنيا

مادمتم أحياء لم تموتوا

فهل هناك خزي لنا أكبر

من ألا نصلي له

هذا المصير عجيب ومصيرنا آت

عندئذ تؤجل كل الأعمال

وينزف القلب من الخوف دمًا

ويأخذ روحنا ملاك الموت

فسيروا على الصراط المستقيم قبل الموت" (٤)

في الحكمة التالية يتوجه الشاعر إلى ابنه لتعليمه، ويؤكد ضرورة القيام بكل الواجبات تجاه الله:

"يا بني، صلِّ قبل أن يأتيك الأجل

أملاً بأن يأخذك الله عبدًا له

العلم واللطف والشرف - خير عظيم

إذا أردت اختباره كن حليمًا" (٥)

وفي معرض إدانته لحب الذات كتب عظيم خوجة إيشان:

"يا أصدقائي، ذكر الله أطيب من العسل

وليس لدي غيرك محسن" [٩]

عندما نقرأ أشعار الشاعر، نتأكد من أنه كان يعرف جيدًا أحكام الشريعة، وحكمه التي كتبها من أجل تلبية الحاجات الروحية للشعب التركي، قريبة في شكلها ومحتواها من الرباعيات الشعبية، وتبين لغتها ثراء وإمكانيات اللغة الأوزبيكية.

إن إصدار هذه الحكم في مجلد واحد مع حكم يساوي يبين قيمة هذه الحكم وحب الشعب لها. [١٠]

بابا رحيم مشرب:

كتب بابا رحيم مشرب هذه السطور الرائعة:

"لو أصبحت كل الأشجار أقلامًا

وكل مياه الأنهار حبرًا

والأرض والسماء صحفًا

فلا يمكن التعبير عن تعاستي

ولا عن شوقي إليك" [١١]

في الواقع هذه الفكرة مأخوذة من القرآن الكريم، ففي الآية المباركة ١٠٩ من سورة "الكهف" يقول الله تعالى متوجهًا إلى النبي محمد ﷺ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن

انظر إلى خداع هذا العالم

عدو الدين - هذا العالم وثرواته، فاعلم ذلك

واترك حبك له

واعمل كي يكون الله راضيًا عنك "[٧].

وفي مناجاته لله يعترف الشاعر بندم كبير باقترافه للذنوب وبعدم استطاعته القيام بواجباته الدينية، وبأنه لم يستطع أن يحج ويسأل الله غفران ذنوبه:

"فقيراً كان، ضعيفًا، أعمى

قلبه ينزف دمًا، لأنه لم يحج إلى بيت الله

لم يشرف بزيارتك

يا نبي الله المختار، ألقِ بنظرة واحدة إلى هذا العبد

فبكاؤه يزداد ويزداد "[٨]

وكذلك:

"يا ألله، ضعيف تاب، فقير علي عتبتك

فارحمه، يا ربي العظيم

أنت الرحمن، الرحيم، أنت الرب

المخمس، وهي تبدأ بحمد الله، ثم تتحدث عن خلق الله للعالم، ولآدم، وتأتي على ذكر العديد من الأنبياء، ثم تأتي على ذكر محمد ﷺ والخلفاء الأربعة، وتنتهي القصيدة بمناجاة الله:

"أبدأ، بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد، كيانك اسم عظيم

كنت كنزًا دفينًا في قلب كل عبد من عبيدك

لك ألف صفة وصفة، واحدة منها، الرحمن

كنت قبل العالم وقبل آدم

وفي ذلك اليوم خلقت آدم ومنحته الروح

فقام من فوره وآمن

فأمرت الملائكة أن تركع له

فقال إبليس "هو من التراب وأنا من النار"

فأصبح ملعونًا، ومنبوذًا" (١٢)

ومقتطفات المخمس التي سنوردها تعالج أيضًا هذا الموضوع القرآني الذي انعكس على نطاق واسع في الأدب وقد وصف التكبر والعجرفة والأنانية على أنها من صفات الشيطان.

تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾. "لقمان" جاء: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وهكذا استعمل بابا رحيم مشرب الوصف القرآني، فكتب شعرًا رائعًا، ويمكن القول إنه كتب أفضل أبياته، إن مهارة الشاعر وموهبته الفذة لا تنحصر في تحويله هذه الفكرة إلى الشعر فقط وإنما في إثرائها بمعنى جديد أيضًا، فإذا كانت الفكرة في القرآن الكريم تهدف إلى إظهار حكمة الله غير المحدودة، فإنها لدى مشرب تهدف إلى إظهار مدى حب الشاعر، وتعلقه بالله، ثم إن القرآن الكريم لم يأت على ذكر الصحف في هذه الفكرة، فإذا أصبحت كل البحار والأنهار حبرًا والأشجار أقلامًا، فالحاجة إلى الصحف تصبح ضرورية فأورد مشرب الأرض والسماء، مكان الصحف، وجاءت تسميته هذه في مكانها، ويمكن القول إن هذا إبداع مشرب العظيم! كما تذكر مؤلفات مشرب أسماء جميع الأنبياء الذين أتى ذكرهم في القرآن الكريم، ويذكر مشرب في أشعاره صفات الأنبياء والأحداث المرتبطة بهم.

نجد في تراث مشرب قصائد كثيرة تشمل موضوعات قرآنية، وفي كتاب "قصة مشرب" واحدة من هذه القصائد كتبت على طريقة

"إذا وقع النور من وجه الحبيب

تحترق الجبال، ويفقد النبي موسى الصبر"

وفي مخمسه "قبة الفلك" يؤكد الشاعر أن أول تمجيد كان لموسى في جبل طور:

"منذ البداية أغرق الله موسى بنوره

وكان مكان أول تمجيد - جبل طور

وكان عدو موسى - فرعون المتكبر

فمنح الله أحدهما السعادة والآخر التعاسة

وأصبح فرعون ذو الوجه الأسود عدواً لموسى"

ويتطرق مشرب أيضًا إلى أسماء الأنبياء لسبب أو لآخر.

استعمل الخوارزمي، مثله مثل سكاكي، وعطائي، ولطفي ومشرب الصفات النبوية في غزله للتعبير عن أفكاره الأدبية، فهو أيضًا شبّه شفتي الحبيبة والزغب فوقهما بالخضر، ووجهها بيوسف، وشبّه نفسه بزليخة:

يقول مشرب:

إذا آمنت بالله فلا تكن متعجرفًا

فالعجرفة من صفات الشيطان

وأنا لم أتمكن من التخلص منها حتى اليوم

وفي البيت التالي يقول الشاعر إن تكبر إبليس أصبح سببًا للعنه الأبدي، ويدعو الناس للتخلص من هذه الصفة:

تخلص من هذه الرذيلة اليوم يا مشرب

فتكبر إبليس صار عبئًا على رقبته

وهذه المقتطفات من المخمس تتحدث عن طلب موسى من الله أن يريه وجهه.

"ربي أرني" - قال موسى راجيًا الله

قال الله "لن تراني" يا موسى، لا يمكنك أن تراني

وقال له من الصعب رؤيتي

فرجاه ألف مرة وعاد إلى البيت"[١٣]

في أبيات كثيرة من غزل مشرب نجد تلميحًا إلى هذه الواقعة مثلاً:

بسبب فراق يوسف. قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ «سورة يوسف: ٨٤».

كما سبق وذكرنا، كرّس الشاعر قصائد وأبيات كثيرة لمدح خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

صوفي الله يار:

ونأتي الآن إلى ذكر صوفي ألله يار الذي لم يدرس بما فيه الكفاية من قبل علمائنا، بما في ذلك مؤلفاته الشعرية، ويعود السبب في ذلك، على الأرجح، إلى عدم وضع الشاعر لديوان خاص به، أما نماذج مؤلفاته فظهرت في القرون التالية في مختلف المطبوعات.

كتب إ. سوفونكولوف الذي درس مؤلفات الشاعر يقول: "تمكنا من جمع العديد من كتب ورباعيات وغزليات صوفي ألله يار، التي وصلتنا ضمن مخطوطات مختلفة حفظت في مكتبة أكاديمية العلوم في جمهورية أوزبكستان، وفي متحف الآداب المسمى باسم علي شير نوائي، ويبين ذلك أن مؤلفات صوفي ألله يار الغنائية، وليس فقط أشعاره، جذبت اهتمام وحب الناس".

كتب ر. زاهد: "ولدصوفي ألله يار في أواسط القرن السابع عشر في قرية مينغلار قرب سمرقند، وذلك وفقًا لتاج الدين يلتشيغول أوغلي الذي كتب تعليقًا على كتاب "ثبات العاجزين" تحت عنوان

"شفتاك كالياقوت

والزغب فوقهما - الخضر

ووجهك كوجه يوسف

ومصيري الموت من هذا الحب كزليخة"

ويشبّه الشاعر نفسه هنا بزليخة لأن الرواية تقول إن يوسف كان المحبوب وزليخة المحب وقـد عانت هي من لوعة الفراق، وفي البيت التالي يورد الشاعر تشبيهات أخرى :

"أنا كزليخة، احترقت بنار الفراق

ولم يتبق مني شيء

فأين أنت يا يوسف أين"؟

وفي البيت التالي يقول الشاعر بأنه تعيس كيعقوب لأن يوسف بعيد عنه:

"إذا كنت سأبكي، كيعقوب، دموع دم

فلا تعجبوا، هذا من ألم فراق يوسف

فأنا دخلت بيت التعاسة"

ويُذكر أن النبي يعـقوب والد يوسف بكى حتى ابيـضت عيناه

وعبرت عن مفاهيم علمية - فلسفية واجتماعية - أخلاقية، وطرحت عدة مشاكل إنسانية عامة مثل جوهر الإنسان الذي رفعه الله على سائر المخلوقات ومكانه في الحياة، والعلاقة المتبادلة بينه وبين العالم القائم على أساس العدالة، وحللت ذلك بشكل عميق من وجهة نظر الدين الإسلامي.

وكتب صوفي أللهيار أشعاره بطريقة المثنوي، وهي تترك منذ اللحظة الأولى انطباعًا عميقًا بجمالها وانفعالاتها التي خلقت الاهتمام لدى الجميع[١٦].

يبدأ كتاب "ثبات العاجزين" وفق التقليد بحمد الله ثم رسوله ﷺ ثم يشرح المؤلف سبب تأليف الكتاب: "كتب هذا الكتاب باللغة الفارسية بلغة جميلة جيدة، وعندما رآه الإخوة الأتراك قالوا: ستفرح الحدود إذا كتب هذا المؤلَّف باللغة التركية، وإذًا فرح به القلب! واقترحوا عليّ أن أكتبه بالتركية، وها أنا أبدأ بكتابته متوكلاً على الله". إذا قمنا بتحليل كتاب صوفي الله يار من وجهة النظر الدينية سنجد أنه كتبه مطابقًا لتعاليم الله ورسوله ﷺ، وضمنه تعاليم شريعة الإسلام بكلمات شعرية جميلة"[١٧].

في الواقع يطرح صوفي أللهيار في شعره الفكرة بشكل دقيق وبلغة بسيطة ومفهومة، إضافة إلى الشكل الجميل والأسلوب المنمق، مما يشير إلى موهبته الشعرية الكبيرة.

"رسالة عـزيزة": كان والد الشاعـر من علية القـوم، وقد أرسل ابنه صوفي إلى مدرسة بخارى عندما بلغ الثـانية عشرة من عمره، وعندما بلغ الخامسة والعـشرين عينه حاكم بخارى رئيسًـا للجمارك، وقد أثر عمله هذا على نـفسيـته فأصبـح موظفًا قـاسيًا حـتى إن الناس كانوا يرتعدون خوفًا لدى سماع اسمه، لكن صوفي أللـه يار سرعان ما ترك هذا العمل وذلك تحت تأثير الشيخ حـبيب الله، الذي كان واحدًا من أشرف أهل بخارى"[١٤].

في مقـالهما "صوفي أللـه يار" يطرح إ. سـوفونكولوف و م. قاديروف فـرضيـة جديدة فـيقولان: "عـمل صوفي أللـه يار لـبعض الوقت جابـيًا للضرائب لـدى عبد العـزيز خان، لكنه لم يتـمكن من العمل طويلاً في هذه الوظيفة بسبب طبيعته الطيبة الرحبة، وبما أنه لم يجمع مـالاً وفيرًا، راح يعمل في الأدب، ولّما لم يرض عن مـؤلفاته انتقل للتتلمذ على يد الشيخ حبيب الله، الذي كان أرفع منه بدرجة، وبعد عشر سنوات أصبح صوفي أللـه يار نفسه شيخًا ومعلمًا له تلاميذ كثيرون"[١٥].

عـاش صوفي أللـه يار عند الشـيخ حـبيب الله ١٢ سنة كـتب خـلالهـا ثلاثة كتـب هي: "مسلك المـتقين"، و"مـراد العـارفين"، و"ثبـات العاجـزين". وقـد دعت هذه الكتب إلى السـعي للكمـال

نفذوا مطالب العليّ، دون سعي وراء المكافأة

نفذوا بضمير ما يشير إليه

لكن لا تسعوا للحصول على الأفضل

فهو وحده يقرر هل سيكافئ أم سيعاقب

وعيشوا أنتم بضمائر مرتاحة

وتورد فصول الكتاب أحاديث تربوية، بهدف التوضيح العميق لهذا الفصل أو ذاك، فبعدحمد الله والثناء على رسوله ﷺ مثلاً يسأل الشاعر الله أن يغفر ذنوبه ويساعده على سلوك الصراط المستقيم بسهولة، وبعد وصفه للجنة والنار يسأل الله أن يجنبه عذاب النار وما شابه، ثم يتحدث عن النزاهة "هي مطلب من مطالب الإسلام الأساسية، إذ يطالب الإسلام أن يعيش كل إنسان من نتاج عمله". ويقول صوفي أللە يار في فصل "تمعدين كوتشموكين بعين" إنه إذا حفر الإنسان بئرًا لتمده بالماء ويحصل على لقمته من عرق جبينه فلا يمكن لأحد أن يعاتبه.

"إذا حفر الإنسان بئرًا

يستخرج الماء

أو نصب ساقية

بعد طرح "سبب التأليف" يذكر الشاعر نعم الله تعالى، ويتحدث عن الضمير وعن الملائكة والأنبياء ونهاية العالم، وشروط الإمامة، وأقوال الأولياء، وعذاب القبر، وصحة الجواب يوم القيامة، والبرزخ والصراط، ومفتاح الجنة والنار. وتميزت مؤلفاته دائمًا بالبساطة والاختصار، والدقة والاقتضاب والأسلوب الأدبي العالي، وتجدر الإشارة إلى أن أشعاره جمعت بين الدقة العلمية والخيال الأدبي، خاصة في الجزء المخصص للحديث عن الله، والذي ينتهي على الشكل التالي:

"هو القادر والآخرون ضعفاء

وقدرته لا يحاط بها

تمنى الملائكة والأنبياء رؤيته

لكنهم أيضًا تمكنوا من التفكير به فقط

انظر أيها الإنسان إلى قدرته

وكيف يحقق المعجزات"

وفي الفصل الذي يتحدث عن الضمير في كتاب "ثبات العاجزين" يجري الحديث أيضًا عن عبادة الله دون انتظار المكافأة، فالله وحده يعلم من سيكافئ ومن سيعاقب:

حجر وفي داخله ثمر طيب

فلا تخف منها

فمن بعدها يأتي الهناء

لا تحمّل نفسك فوق طاقتها

واحمد الله على ما بين يديك من رزقه"

محيّـــر:

يعد محمد قول محمـد رسول أوغلي محيِّر واحدًا من الشعراء الموهوبين الذين فسـروا شعرًا أحاديث النبي مـحمد ﷺ في الأدب الإسـلامي الأوزبكي، وقد وصل إلينـا ثلاث نسخ من ديوان الشاعـر الذي يشمل بعد المقدمة تفسيرًا شعريًا لأربعين حديثًا شريفًا.

في الفصل الثالث من هذا الكتاب تطرقنا بالتـفصيل إلى كتاب علي شير نوائي "أربعين"، وفيه أيـضًا جرى الحديث عن تاريخ نشأة تقليد الترجمة الشعرية للأحاديث إلـى اللغة التركية وتحول هذا التقليد إلى نوع من المدرسة الأدبيـة، وقد تابع الشـاعر الأوزبكي محـيِّر هذا التقليد بعد نوائي؛ فقام بترجمة أربعين حديثًا إلى اللغة الأوزبكية عن ترجمة فارسية وضعهـا الشاعر الشيخ ابن نور الدين محمد البوراني، وحـولها إلـى رباعيـات أمـلاً في أن يحـصل منها القـارئ على مـا يفيده[١٨].

تسحب له الماء

وإذا حصل على لقمته بعرق جبينه

فهو يعيش بلا لوم من الآخرين"

وكتب صوفي الله يار في مقدمة "سبب التأليف":

"كي يسعد الناس من أمثالي

أوردت هنا بعض المواعظ"

ولا يتواضع الشاعر أمامنا كما قد يظهر، ولا يتصنع التواضع، فإن مواعظه قد رفعته ورفعت ذكره، كما أبرزت الأهمية الأدبية الكبرى لمؤلفه، حيث لم يكن الشكل الأدبي لهذه المواعظ تلقينا جافا، بل جاء صافيا مثل سلسبيل الماء العذب، سهلاً يؤثر في عقل القارئ ويترك أثرًا كبيرًا في قلبه، مثلاً:

"مقارعة العدو أسهل عليك

من توجيه المرأة

إذا كان المسلم صاحب كلمة طيبة

فمن السهل عليه الانتصار على فيل

الصعوبات كقشر الجوز

لن يرى الجنة بعينيه

ويقول الرسول: من يضيّق على

جاره بأي حركة كانت

لن يرى هو أيضًا الجنة

لا تنظر إلى الأقارب نظرة سوء

حتى ولو كان في داخلك أيها المسلم

نقطة من التعالي" [٢٠].

نستنتج أن ترجمة محيِّـر للأحاديث النبوية إلى اللغة الأوزبكية حيث يجري الحـديث عن القيم والتعـاليم الإسلامية، أعني الضـمير والشرف، هي متابعة ناجحة لتقليد الترجمة الشعرية للأحاديث النبوية الشريفة في الأدب الإسلامي الأوزبكـي، ويعني ذلك أن الشاعر قدم مساهمة لا تقدر بثمن في مجال نشر الأحاديث النبوية بين الناس.

هويـــــدا:

يشبه دسـتان "راحة دِل" للشاعر خـوجة نزار هويدا في بعض مميزاته مـؤلَّف "ثبات العـاجزين"؛ لأن هذا المؤلف هو أيضًـا مؤلف ديني ذو طابع أخـلاقي تربوي، ويهـدف أيضًا إلى الدعـاية بالطريقـة الشعرية للقـوانين الإسلامية ونشرها، وفيه أيضًـا حمد لله وثناء على

ويتمثل هدف ترجمة الأحاديث التي قام بها محير في تسهيل فهمها على الناس، وذلك لسهولة عرض الفحوى شعرًا ولأن الترجمة الشعرية تشد انتباه الناس أكثر من الترجمة النثرية[١٩].

تشير الأحاديث الشريفة إلى أن المسلم الحق لا يحقد أو يبقي على حقد دفين على مسلم آخر، وأشار محيِّر في رباعيته إلى ذلك فقال:

إذا تشاجر مسلم

مع مسلم آخر

فخلال ثلاثة أيام - قال أحمد

عليهما ألا يحقدا على بعضهما البعض

وتدين التعاليم الإسلامية العنف تجاه الإخوة وإضاعة صلة القرابة والتعالي وعدم الاعتراف بالجذور والتضييق على الجيران، ويقال: إن من يقوم بما سبق ذكره لا يدخل الجنة، وترجمة محيِّر لحديث في هذا المجال هي ذات أهمية أخلاقية - أدبية:

"لا تقطع صلة القرابة مع الأقارب

حتى ولو كانوا جيدين أو سيئين

فمن يقطع صلة القرابة مع أقاربه

الداخلي للإنسان وتوطد القناعات الإنسانية بالدرجة الأولى، ومن ثم الالتزام عن وعي بقواعد الدين الإسلامي، وتشير إلى أن كل بطل من أبطال روايات الدستان مليء بأحاسيس إلهية، وهذا العامل يجعل من كل نموذج نموذجًا مشوقًا يحمل قناعات المؤلف الفلسفية، ويمكن تقسيم هؤلاء الأبطال إلى مجموعتين: أبطال المجموعة الأولى رمز الضمير، والشرف، والتقوى والإنسانية، وأبطال المجموعة الثانية هم على العكس يخلقون الاشمئزاز بسبب تصرفاتهم، ويخلق المؤلف لدى القارئ مشاعر طيبة ويدعوه لحب الحياة، والصدق والتقوى، ولغالبية حكايات وروايات الكتاب مصادرها في الكتب التاريخية، كما أن أحداث الكتاب التربوية الشيقة تتشابك مع مصير الأبطال، مما يسمح لكل إنسان بتقييم أعماله وتصرفاته". (٢١)

ويتناسب حمد الله تعالى في كتاب "راحة دل" مع محتوى القرآن الكريم وتاريخ الأنبياء، ويتألف من مثنويات ورباعيات ويتطرق إلى مواضيع قرآنية.

خلق الإنسان من نطفة من ماء

وهو أعطاه العقل

بدأ الطوفان

ولم يبق حي على وجه البسيطة

رسوله ﷺ، ويصف الساعة ونهاية العالم وعذاب القبر والجنة والنار وغير ذلك.

بالرغم من التشابه بينهما فإن هناك فرقًا كبيرًا بين: "راحة دِل" و"ثبات العاجزين" إلا أن أشعار صوفي ألله يار واقعة كليًا تحت تأثير الشريعة، أي أنها لا تحيد خطوة واحدة عن قوانين الشريعة. أما الدستان فيغلب عليه التصوف، فبعد المقدمة والأجزاء التي أشير إليها أعلاه في "راحة دِل" تأتي روايات ذات طابع صوفي، أما في "ثبات العاجزين" فقد كان طرح المواضيع علميًا، أما الشكل فأدبي، لذلك يمكن تسمية الكتاب ككتاب علمي - أدبي، فيما يعتبر "راحة دل" مؤلَّفًا أدبيًا بحتًا، ويجري فيه حل جميع المواضيع من وجهة النظر الأدبية ولهذا يسمى "دستان".

أجزاء "ثبات العاجزين" قصيرة ومحتواها دقيق ومقتضب، أما في "راحة دل" فهناك لمحات غنائية ويمكن الإحساس بسيطرة الإلهام، وكما سبق ورأينا في مؤلفات مشرب وصوفي وألله يار نجد هنا في الواجهة أيضًا الفرق بين العالم - الصوفي والعاشق - الصوفي. ودون أن نقلل من أهمية خوجة نزار هويدا تجدر الإشارة إلى أفضلية "ثبات العاجزين" أمام "راحة دِل" من الناحية الأدبية.

تتمثل الفكرة الأساسية لدستان "راحة دل" في تشكل العالم

ثم يجري الحديث عن الخلفاء الراشدين ليتابع عن حفيدي النبي محمد ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام، ثم عن نهاية العالم، والجنة والنار.

ونرى أنه جرى التعامل مع المواضيع القرآنية والأحاديث بشكل أدبي في دستان "راحة دل"، وأن رواياته أخذت من مصادر دينية مختلفة، وجرى التعامل مع كل ذلك بشكل شعري، وعرضت الأحداث بطريقة تدعو الناس إلى الصراط المستقيم.

إن مثل هذه الطريقة التربوية شيء تقليدي بالنسبة لأدب الشرق، وقد تمكن هويدا من استعمالها بشكل ناجح، ويدل ذلك على سعي الشاعر للحفاظ على الروح الشعبية في مؤلفاته، إضافة إلى أنه عرف جيدًا الروايات الشعبية المروية وتعامل معها بشكل إبداعي في مؤلفاته[٢٢].

ظهرت المواضيع الدينية أيضًا في مؤلفات نادرة، وعويسي، ومحرم عبيد، ومونس، وآكهى، وكامل الخوارزمي، وفيروز، وشعراء آخرين عاشوا في العصر الذي تشمله الدراسة.

إن حجم الدراسة الحالية لا يسمح لنا بالتوقف تفصيلاً عند إبداع كل منهم، إضافة إلى أن الكثير من مؤلفاتهم ذات الطابع الديني لم تنشر في دواوينهم بسبب الظروف التي كانت سائدة، لذلك فإن

فحماه هو القادر

ولم تبل المياه حتى قدميه

يجري الحديث هنا عن الطوفان في أيام النبي نوح عليه السلام، الذي أتى على ذكره القرآن الكريم في آيات عديدة ومنها الآيات ٢٣ - ٢٤ من سورة المؤمنون.

ينتهي حمد الله بكلمات عن النبي محمد ﷺ، وفي الجزء المكرس للنبي محمد ﷺ يقول المؤلف إنه خاتم الأنبياء، كما يتحدث عن صفاته الفاضلة واهتمامه الدائم بالناس، ويدين السفلة غير الجديرين به:

أنا لم آكل خيرات الأرض حتى الشبع

ورجوت دائمًا مسامحة ذنوب الناس

من البداية حتى النهاية

فكر فقط بالناس

أنت - أيها الإنسان

إلى متى تفعل الشر

لم لا تفكر بنبيك

لم لا تجله

من يحترمه

يصبح هو محترمًا "[٢٤]

وعن الخلفاء الراشدين تقول الشاعرة:

كان أبو بكر قريبًا

وقدمه عمر دائمًا

وكرس عثمان حياته له

وكان المرتضى صديقه[٢٥]

بعد كل هذا تتحدث نادرة عن ذكرياتها عن زوجها الأمير عمر خان، بعد وفاة زوجها حكمت نادرة الدولة وكتبت عن ذلك تقول: "اهتممت بتوطيد الدين وتطور النُبل في البلاد، وساعدت علماء الدين فتوطدت دعائم الأمة، وساعدت بكل الوسائل الأدباء والعلماء فازدهرت صنعتهم، وحميت بكل الوسائل الضعفاء والفقراء، ولم أرفض مساعدتهم، كما ساعدت في تكوين الأدب الفني والعلمي"[٢٦].

يحتل موضوع الإسلام في قصائد الشاعرة مكانًا رائدًا، ويبدأ ديوان "نادرة" على سبيل المثال بما يلي:

"خلق الله الإنسان والكون دون نواقص

إيجاد هذه المؤلفات ودراستها بتعمق يعـبتر حاجة ملحة ومطلبًا عصريًا ومهمة ملقاة على عاتق علماء الأدب.

نـــادرة:

تبدأ مقدمة ديوان "نادرة" بالكلمات التالية:

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد

المعني وحده بالكون

القادر، والمشرف على العالم

والشمس، وكل الكواكب تنتظر أوامره

نحمده نحن دائمـًا

وليمنحني القدرة لكتابة هذا الديوان" (٢٣)

بعد ذلك تمجيد النبي محمد ﷺ:

"محمد كريم

هو رسول الله

صم رمضان عن حق، وأظهر التزامك

إذا أردت أن ترى جمال الفجر[٣١]

اعملي الخير وقت الصوم، يا كاملة

فتحصلي أنت على المكافأة[٣٢]

عويسي:

كتبت الشاعرة الأوزبكية المعروفة "عويسي" مؤلفًا بعنوان: "كربلاء نامه" أو "قصة الأمير حسن والأمير حسين"، تحدثت فيها عن الأحداث التي رافقت مقتل الحسن والحسين أولاد الإمام علي رضي الله عنه وأحفاد النبي محمد ﷺ.

كرست عويسة من الأبيات والمثنوي للأنبياء سليمان ويوسف والمسيح، عليهم السلام:

ليمنحك الله مجدًا، كمجد عرش سليمان[٣٣]

كوردة المحيا، من فم الخضر كلمات

تزين الشامة وجهك[٣٤]

الصبر، يا عويسي، تصبري

فسوف تنبعثين عندما ترشين ماء حياة المسيح[٣٥]

ومن قطرة الماء يخلق اللؤلؤ الثمين

وكان للكون أسرار كثيرة

كشفها بقوته وأراها للناس" (٢٧)

تفرد نادرة في أشعارها مكانًا مهـمًا للأنبياء والأحداث المرتبطة بهم، ولصفاتهم، وغالبا ما كـانت تعود إلى قصة يوسف، ويبدو أنها كانت تجد السلـوى في هذه القصة الحزينة، لأنها أصـبحت أرملة في الثلاثين من عمرها. لنورد مثلاً:

"ذهب يوسفي، إلى مصر، كيعقوب

أبكي ولا أقدر على السـلوى (٢٨)

جمال يوسف اشتهر في مصر

فرغب الكثيرون برؤيته (٢٩)

إذا لم يكن يوسف جميلاً

فلماذا وقعت زليخة في غرامه (٣٠)

وغالبًـا ما نلتـقي في مؤلـفات نادرة بأسـماء الأنبيـاء: نوح، وسليمان، والمسيح، ومحمد، عليهم السلام، وكرست قصيدة خاصة للصوم:

ذلك. كتب ن. جمعة خوجة، وتابع يقول: ونلحظ في مؤلفات نادرة وعويسي دعوات صريحة للالتزام بتعاليم الإسلام المبدئية، ويظهر هذا التزام هؤلاء الشعراء بالشريعة والكمال الروحي والحقيقة بمواصفاتها الكاملة"[٤١].

وتظهر الأبحاث أن الأدب الأوزبكي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر سلط الضوء بفعالية على المواضيع الإسلامية وبحماس كبير، وتابع شعراء هذه المرحلة بنجاح كبير تقاليد أجدادهم، ووسعوا التفسير الأدبي للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وأغنوا كنز الأدب الأوزبكي بمؤلفات دينية - روحية رائعة.

إن كتاب "ثبات العاجزين" لصوفي ألله يار، ودستان "راحة دِل" لخوجة نظر هويدا وأشعار مشرب، ونادرة، وعويسي، ومونس، وآكهي، وفيروز، وغيرهم، الرائعة التي تنير بشكل كبير المواضيع الدينية، ما هي إلا برهان على أفكارنا هذه.

٢- الغزو الروسي وتأثيره على الأدب الأوزبكي:

أدت الخلافات والصراع من أجل السلطة الذي بدأ بعد موت تيمور واستمر حتى احتلال روسيا لآسيا الوسطى، بعد لهو الخانيات الثلاث وبدء الصراع المستمر بينهم، إلى وقوع الجميع تحت الاحتلال.

كان لهذه الأحداث أثر عميق في الأدب والثقافة، وبالرغم من

مهما قيموا عاليا جمالك

فجمال يوسف لا يعلى عليه[٣٦]

آكهـي:

ويمكن أن نلحظ التوجهات الدينية في إبداع آكهي أيضًا:

توكل على الله، واصبر أيها الشاعر

إذا رغبت في شرف العالمين[٣٧]

وغالبًا مـا تتكرر في أشعاره أيضًـا أسماء الأنبياء وخـصالهم، وكذلك الأحداث المرتبطة بهم:

"لو رأيت جمالك يا يوسف

لقلت المجد والشرف لمحياك" [٣٨]

"يحتار المسيح ومريم أمامك

ويُشفى المرضى من رؤية وجهك الجميل" [٣٩]

"انظر إلى طيبته، جدارته

عرش قارون وقصر سوسو" [٤٠]

"وضع مونس وآكهي مؤلفاتهما على أساس الخصائص الدقيقة للأدب الأوزبكي الكلاسيكي، ويعـتقدان أن التـصوف في مؤلفاتهـما على أساس أفكار الشـريعة والكمال الروحي، وأظنهمـا مخطئات في

دانشي، ومقيمي، وفرقت وديلشاد، وعنبر آتين، ذوقي وبياني، ومحمود خوجه بهبودي، ومنوّر قاري، وعبد الله أولاني، عوض أوتار، وخزيني، وتولّى وفطرت، وحمزة وغيرهم. وقد مضى هؤلاء في بداية حياتهم الأدبية وفق الطريق التقليدي، ثم انتقلوا شيئًا فشيئًا إلى مسايرة أحداث زمانهم، وأصدروا مؤلفات انتقدت بحدة الأمية والحكام والموظفين الجاهلين، وفضحوا ألاعيب علماء الدين الصوفيين، إلا أنهم أطلقوا إلى جانب ذلك دعوات لدراسة الثقافة الروسية الجديدة، ودراسة العلم والتقنية.

وكان من الطبيعي أن تنتقل الموضوعات الدينية من الواجهة إلى الخلف لتحل محلها في الأدب موضوعات تعليم الشعب وتطوير البلاد والدعاية لنتائج التطور، وقد وقف غالبية أدباء هذه المرحلة ورجال المجتمع إلى جانب تحصيل العلوم، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الدين الإسلامي لا ينفي الحصول على العلم، بل على العكس يدعو المسلمين رجالاً ونساء لنيل العلم، لذلك فإن مؤازري المعرفة استعملوا في مؤلفاتهم الداعية إلى تنوير الشعب وتربية الشباب بروح الأخلاق العالية، مقتطفات من القرآن الكريم والحديث الشريف، ويمكن لمؤلفات بهبودي وأولاني أن تكون مثلاً على ذلك.

ظهور بعض المؤلفات ووجود شعراء مشهورين إلا أن العصر تميز بانحطاط عام في الأدب، ويفسر الانتشار الواسع للصوفية وازدياد تأثيرها على أنه ناتج عن صعوبات العصر ووضع الشعب الصعب، وهكذا استغل بعض رجال الدين أمل الناس بالله تعالى لبسط نفوذهم دون أي اعتبار، وبذلك بدأ أولئك المتصوفون يلعبون دورًا سلبيًا في حياة البلاد.

وهكذا نسي الناس أقوال النبي محمد ﷺ الداعية لقراءة القرآن الكريم وتنفيذ ما جاء فيه، وكذلك الداعية لعدم استعماله كأداة للضغط والابتزاز من أجل الحصول على الثروات". (٤٢)

بكلمة أخرى: أدت صراعات الحكام وجشع العلماء واستغلالهم للدين في غير موضعه إلى تخلف الناس وافقار البلاد والعباد، مما حدا بفئات كثيرة من الناس للبحث عن الجديد وتقبله، ودعوا مواطنيهم للاستفادة مما توصل إليه العلم.

وهكذا إذًا، تشكلت وتطورت ثقافة معرفية جديدة كليًا عبرت عن توجه الأدب الأوزبكي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر". (٤٣)

في المرحلة التي تتناولها هذه الدراسة عاش وأبدع شعراء مشهورون مثل: كامل الخوارزمي، محمد رحيم خان فيروز أحمد

في البيت التالي مناجاة لله تعالى كي يري الناس الطريق الحق:

"أرنا يا إلهي الطريق الحق

عندها سنحفظ أنفسنا من الآثام" (٤٧)

والأبيات التالية تتوافق مع تعاليم القرآن الكريم والحديث الشريف:

إن شئت ألا تتعرض لتجارب الحسرة والندم

فاقنع بما رزقك الله

وكن دائمًا صبورًا

فلا تتحسر عندئذ على شيء

يا إلهي سنوات عمري ذهبت سدى

فسامحني واغفر لي فأنت وحدك الغفور (٤٨)

وكغيره من الشعراء السابقين يذكر فيروز في أشعاره أسماء الأنبياء، مثل يعقوب، ويوسف، والمسيح، عليهم السلام، وغيرهم، ويستعمل كلمات وتعابير دينية عديدة، كما يبدأ عددًا من قصائده بحمد الله.

أما الشعراء الآخرون، عدا فيروز، فوضعوا مؤلفاتهم بالشكل

فيـــروز:

دخل محـمد رحيم خـان فيروز التـاريخ الأدبي كشاعـر التزم بصرامة بالتـقاليد القديمة العريقة ولم يحـد عن الخط التقليدي للأدب الكلاسيكي الأوزبكي، كـما أن مؤلفاته، في الماضي القـريب، كانت ممنوعة على الباحثين.

ومع حصول أوزبكستان على استـقلالها ظهرت إمكانية دراسة إبداع الشاعر - الحاكم الفريد فيـروز، وهكذا تم خلال الفترة القصيرة التي تلت الاستقلال نشر نماذج من مولفات مـحمد رحيم خان فيروز مرتين في شكل مجموعة أدبية.[٤٤]

تتميز غنائية فيروز، الذي يسمى عن حق "أبو الغزل" بتنوعها وبمضمـونها؛ إذ تعرض قـصائده بمهارة المشاعـر الرائعة وعالم الخـيال الصـافي[٤٥]. وللأسف، نحن لا يمكـننا دراسـة تراث هذا الشـاعـر بالرغم من البدء بنشـره وبرغم حاجته للدراسة، إذ أننـا سنبقى ضمن إطار مهمتنا وندرس الموضوعات الدينية في إبداع فيروز فقط.

يبدأ ديوان فيروز بحمد الله والثناء على رسوله محمد ﷺ، ويعبر عن علاقته بالشرعية بهذا البيت:

"إن من لا يلتزم بقواعد الشريعة

سيعاقب في العالم الآخـر"[٤٦]

ليس لله بداية ولا نهاية وليس له حدود، والله لم يخلق وإنما على العكس هو الذي خلق كل هذا الكون؛ فما أن لفظ كلمة "كن" حتى ظهرت النبات والجماد والناس وبقية الكائنات.

إن الله الذي خلق الكون هو الذي يحميه، أي إنه إذا أراد حافظ عليه وإذ أراد - يقضي عليه:

"نهاية العالم ليست حدودًا لروحك

التي تبدو وكأنها واضحة - لكنها سر

موجودة - لكنها سر

اسمع أيها السلطان قصرك ليس بيتًا لك

فهناك في القصر السري مأواك" (٥٠)

نلاحظ الموضوعات الدينية في غنائية الشاعر، عند استعماله لأسماء الأنبياء أو الأحداث المرتبطة بأسمائهم، وغالبًا ما نجد في مؤلفاته إشارات أدبية للمسيح عليه السلام.

ويتحدث البيت التالي عن أن طلب الرحمة من عيني الحبيبة القاسيتين هو حلم مستحيل التحقيق كطلب الرحمة للكافرين:

"طلب الرحمة من عيني الحبيبة القاسيتين

مثله كمثل طلب الرحمة للكافرين" (٥١)

التقليدي، لكنهم انـغمسوا بشكل فعّال فـي تيار الفكر الروسي الوافد عليهم.

في نهايـة القرن الثالث عـشر ومطلع القـرن الرابع عشـر ظهر شعر الهجاء، الذي شارك في إحيائه مقيمي وذوقي، ومحمود، وكان هذا الشعر موجودًا في الأساس سـابقًا لكنه لم يصل إلى قمته إلا مع الشعراء المذكـورين، وقد ظهر شعر الـهجاء أيضًا على قاعـدة المعرفة الجديدة، ويجب القول إنه تابع الفكرة على طريق جديد، ذلك أن شـعراء شـعر الهـجاء أدانوا بصـراحـة الأمّيـة والتخلف والانحـلال الأخلاقي، وأشاروا إلى ما أصـاب المنطقة من تخلف، وحالة الشعب الصعبة وإلى ظلم المحتلين أحيانًا.

كامل الخـوارزمي:

اعتبـر كامل الخوارزمي أحد أقـوى الشعراء خلال فـترة حكم محمد رحيم خان"[٤٩]، وقد عمل على استمرار أفضل تقاليد الأدب الكلاسيكي الأوزبكي.

لقـد خلق الله، حـسب رأي كـامل الخـوارزمي، كل مـا هو موجود في الكون لكي يبـرهن على وجوده بأم العين، لذلك فإن كل الطبيعة هي برهان على وجود الخالق.

كتب الشاعر الأوزبكي المعاصر عبد الله عارف ما يلي: "إن لكل حدث سببًا، وكل قصيدة تخلق شيئًا ما". [٥٥] ويقصد عبد الله عارف أن كل ما كتب من نقد لعلماء الدين له سبب بالتأكيد دفع بالشعراء الهزليين لفعل ذلك، وتشير الوقائع إلى أن المتصوفة في ذلك الوقت انقسموا على أنفسهم، وأوجدوا هوة كبيرة بين القول والفعل، وظهر أن هؤلاء الرجال "العظام" تنكروا للإسلام واستعملوه لمآربهم الخاصة، وتعرضهم للنقد من قبل فئة المجتمع المثقفة يعني أنهم إنما قاموا بأعمال ضد هذا المجتمع.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: "إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإن سرق الضعيف أقاموا عليه الحد". [٥٦]

فرقت:

في المرحلة التي تتناولها الدراسة، جرت أيضًا أحداث غير طبيعية متعلقة بالدين، فمن المعروف أن علماء الدين، لم يكونوا يتقبلون الهدايا من الحكام وإنما كانوا يدعونهم للعدل والأمانة، ولم يدخل الشيوخ إلى قصور الحكام متوسلين وإنما كان الحكام يأتونهم للاحترام، إلا أنه عندما بدأ الانحلال الديني تغير الوضع كليا، وراح

وتبرهن المقتطفات من مؤلفات الشاعر على أنه كان متمكنًا في استعمال أمثلة التعابير القرآنية الكريمة لخدمة الأهداف الأدبية.

وتضعف المواضيع الدينية بشكل واضح في مؤلفات مقيمي وفرقت وذوقي، إذ لم يبد هؤلاء الشعراء اهتمامًا كبيرًا بالتفسير الأدبي لمعاني القرآن الكريم والحديث الشريف، وإنما على العكس، قاموا في حالات كثيرة بانتقاد العلماء على جشعهم ورياهم، وقد جاء في حديث شريف ما معناه أن جشع علماء الدين يمحو حكمة الروح.[٥٢]

مقيمي:

ترسم قصيدة مقيمي الهجاء "الأولياء" في صورة فنية، كما يقول مشرب، ظاهرها يحمل شكل الولي الزاهد، لكن داخلها يفكر فقط في الثراء[٥٣]، وهذا تجنٍّ منه عليهم حيث يقول:

"يضع على رأسه مرة قبعة ومرة عمامة

يمسك في يده عصا، وفي رقبته إثم

تُب، أيها الصوفي، فمثل حالك يعني

أنك تغرم بكل النساء والفتيات

وعجائب الصوفي أنه يبحث دائمًا

عن مكان يُستضاف به للطعام

ويحسب أن كل شيء مسموح له"[٥٤]

من المعروف لدى شعوب وسط آسيا أن الخضر وجد ماء الحياة كما منح المسيح الحياة للموتى بإذن الله، ويستعمل فرقت بطريقة فنية في العديد من مؤلفاته هاتين الشخصيتين التقليديتين في الأدب الأوزبكي، ويشبه شفتي الحبيبة بمفتاح خلود الخضر، وحديثها بمنح الحياة كالمسيح.

ونجد في قصائد فرقت أبياتًا عن النبي يوسف عليه السلام يعتبر فيها الشاعر حبيبته أجمل من يوسف:

"أنت الجميلة الوحيدة في كل مملكة مصر

ولا يقاس جمال أحد بجمالك" (٦١)

"جميلة، يوسف في الجمال لا يضاهيك

ولا أريد أن يكون انعكاسًا لك" (٦٢)

في البيت التالي يتذكر الشاعر "يوسف وزليخة":

"من أين ليوسف أن يعلم أنه أجمل من الآخرين

فقط زليخة العاشقة مشتاقة إليه" (٦٣)

بعد أن حج فرقت إلى مكة المكرمة وزار المدينة المنورة، كتب مؤلَّفه "حج نامه" (٦٤).

عوض أوتار:

علمـاء الدين والمغنّون يدعـمـون طغـيان الحكام ويمدحـون ويبـررون أعمـالهم فحصلوا بذلك على هبـات كثيـرة منهم، وأخذوا يعاقـبون الناس بقـسـوة ولو لذنب صغـيـر؛ ذلك لأنه لم يكن لهـؤلاء الناس الفقراء من معين"[٥٧].

في قصيـدة "أسرار قول"، يجري تحديد الوجـه الذي يتعرض للانتقاد:

"مظهره كالصوفي - عباءة وعمامة

وروح أسرار قول من الداخل شريرة

وفي الأعراس والحفـلات

كان أسرار قول الفقير يئن بقوة من التخمة"[٥٨]

التزم فرقت في إبداعه بتـقليد الكلاسيكيين، فاستعـمل كشاعر كلاسيكي شخصـيات الأنبياء لتحقيق أهدافه الشـعرية كالتقليد الأدبي الذي كان سائدًا.

"ماحاجتي لماء الحياة وبهجة الحياة

بدون سحر الخضر وشفتي المسيح[٥٩]

"سحرك يعطي ماء الحياة

وشفتاك تمنح الحياة"[٦٠]

فبدون المعرفة جعلتم بعضنا كالحيوانات

وكما أفاق عوض سيفيق الناس ويسألون:

لماذا قضيتم على الأمة؟" [٦٥]

وكتب الشاعر قصيدته "الشيخ" على نسق قصيدة نوائي المشهورة "ساده شيخ" من ناحية الرديف والقافية:

"كي يتمكن دائمًا من النفاق

أخافنا الشيخ بعصاه" [٦٦]

بهذه الطريقة عبر الشاعر عن جشع الرجل، راسمًا بذلك صورة لبعض المنافقين.

يقول الحديث الشريف ما معناه أن علماء الأرض كنجوم السماء والطريق يمر عبرهم في البر والبحر. وإذا انطفأت النجوم، ضاع المسافرون. [٦٧]

إن عوض أوتار على حق هنا، إذ أن الشعب يحيد عن الصراط المستقيم بسبب انحلال البعض وفسادهم، فالشعب الذي كان يسير خلفهم، ذليل الآن، يتخبط في مستنقع الجهل والتخلف مما يؤدي إلى دمار البلاد العظيمة التي بهرت يومًا ما العالم بالعلم والمعرفة والفن والحرف.

تمثل الأشعار ذات الطابع التنويري الجزء الأكبر من تراث عوض أوتار، ويعرض الشاعر فيها لحياة الشعب الصعبة ويدعو للنهضة القومية والحصول على المعرفة والاختصاص ودراسة اللغات، أما من الناحية الدينية فإن شعره احتوى انتقادًا للبعض بشكل أساسي، ففي قصيدته "العلماء" مثلاً يأسف الشاعر بعمق لكون أناس يخنقون حرية الناس، ويمنعون عنهم العلوم الدينية فأدخلوا الشعب بذلك في غياهب الفقر الروحي:

"أيها الذين بتعصبكم عشتم لنفسكم

وأوصلتم الناس إلى الفقر

أحدكم قاض، والآخر مُفْتٍ

أقمتم الحفل فوق تعاسة الشعب

ولكي تبقونا في غياهب الظلمات

لم تمنحونا الحرية، واقفلتم علينا في زنزانة مظلمة

على هذه الجرائم، طبعًا ستعاقبون

فبظلمكم أفلستم الأمة

لو أنكم فتحتم المدارس وأعطيتم المعرفة

لأمكن أن نصبح بشرًا

"مظهرك مظهر مؤمن كبير، وروحك شريرة

وفكرك يعمل لخداع الشعب

وتزور المقابر لأغراض شخصية

على لسانك الصلاة، وفي عقلك غيرها"[٦٩]

وفي قصائدها: "أعراض"، و"عض" و"ورع" توجه الشاعرة أيضًا نقدًا حادًا للذين يقولون شيئًا ويفعلون أشياء أخرى.

كرست الشاعرة قصيدة "حج" لوصف الحج المقدس، لكن الحج يتطلب أموالاً كثيرة فيتمكن من الحج الأغنياء فقط، وتأسف الشاعرة لعدم تمكن الفقراء من زيارة الأماكن المقدسة والحج إليها:

"... ليس لدى الفقراء أموال للحج

والأغنياء يحجون بسعادة

نحن نعرف كيف جمع «الباي»[٧٠] أمواله

ما حاجة هذا السيد للحج

للمجد فقط يذهب الباي إلى الكعبة

ولكي يسموه فيما بعد حاجًا...

دلشاد تناجي الله في الليل أن يقبل حجي في البيت"[٧١].

وإذا التزمنا بهذا الكلام فيمكننا عندئذ القول بأن كثيرًا من السادة والموظفين أصبحوا قذرين منافقين. إلا أنه، والحمد لله، لم يكن عدد هؤلاء كبيرًا.

ويحدد الشاعر أكثر نقده في قصيدة "الشيوخ":

"البعض يضلون الناس

عن الصراط المستقيم مثلهم مثل الشيطان

وهم ينشرون التعاليم نهارًا"

ويشربون الخمر ويلهون ليلاً

كل ليلة يتحدثان مع الشيطان

ليس لإبليس عمل بين الناس، يا أصدقائي

إذا كان بينهم هذان الشيخان" (٦٨)

دلشاد بارني:

انتقدت مؤلفات دلشاد بارنو أيضًا بعضًا من علماء الدين، وكانت انتقاداتها مباشرة وصريحة وفضحت كل رذائل العلماء:

أجل المجد والتعـالي، ويصبح الحج بالنسبة إليـهم وظيفة يصلون من خلالها إلى المال، وقـد أصبح هذا الموضوع موضوعًا أدبيًـا ثابتًا، فباه والي محمود مثلاً يحدثنا في مؤلفه عن عودة الحاج من الديار المقدسة وكيف أصبح بعدها أكثر خداعًا وأقل ضميرًا:

"كان هذا الحاج قبلاً أفعى

فعاد من الحج تنينًا

لا تصدقوا خداعه

فهو لا يملك ضميرا" (٧٣)

وفي كتـابه "حاج دفتري" رسم عـبد الله عارف أيضًـا صورة شعـرية لحج المنافق الذي يجري الحديث عنه في الفـصل الخامس من هذه الدراسة.

ذوقـي:

تحكي أشعـار ذوقي عن التخلف وقلة الضمـير وانعدام الحـياء لدى الناس:

"غريب كيف يمكن الصبر

فكأس الصبر يمتلئ من هذه الآفات

الناس الأذكياء لا يجدون لنفسهم مكانًا في خضم هذه القذارة

كما انتقدت الشاعرة عنبر أوتين بشدة بطلها عليم جان الذي تعلم "قليلاً" فراح يظهر نفسه على أنه شيخ - عالم، ثم جمع المال من الرشوة كي يذهب إلى الكعبة الشريفة ويحصل على لقب "حاج". وبعد أن أصبح "حاجًا" وعاد بقي على حاله يخدع الناس، وتظهر الشاعرة هذه الحوادث بشكل هزلي حاد:

"مالاً كثيراً جمع، سافر إلى الحج كي يصبح حاجًا

وبعد العودة من الكعبة، بقي على حاله حجنا"

تعرض الشاعرة أعمال عليم جان باستهزاء واضح، فهو ظاهريًا يدعو إلى الشريعة، لكنه في داخله يفكر في كيفية الحصول على المال أكثر فأكثر، وتدعو الشاعرة الناس لعدم تصديقه، لأنه لا يقول الحقيقة وهو لا يختلف كثيرا عن اللصوص:

"يهدي إلى قوانين الشريعة كالهادي محبي

ويظهر نفسه هاديًا حجنا

لا تسمعوا له، أيها الناس، ولا تصدقوه

هو يخدع الناس، ويتفق مع اللصوص" (٧٢)

إن الهدف الأساسي للمسلم من الذهاب إلى الحج هو أداء فرض من فروض الإسلام والتوبة إلى الله، إلا أن البعض يذهبون من

"السماء قاتمة، الأنهار عكره، الأرض سوداء

ومهما كتبت، لن ينتهي شوقي إليك

أنا مشتاق جدًا إليك" (٧٧)

وبيت حمزة:

"أسأل نسيم الصباح

أن يبلغ، لجميلتي، سلامي" (٧٨).

يتوافق مع شعر مشرب:

"أسأل نسيم الصباح

حمل تمنياتنا الطيبة للجميلة" (٧٩)

وقد كتب البيتان بقافية واحدة وإيقاع واحد.

والبيتان التاليان يتطابقان كليًا:

مشرب:

"اثنان قطعا عهدًا

من السيئ، الله وحده يعلم" (٨٠)

حمزة:

"أعطى الكثير من الوعود، نيحان

قذارة من لا يعطي الحسنات، ويقيم الولائم العامرة"[٧٤]

في قصيدة وحتليك يقول الشاعـر إن الشعب الجائع يعتبر الخبز مقدسا والطعام نبيًا، معبرًا بذلك عن فقدان الصبر:

"إذا كان الطعام نبيًا والخبز مقدسًا

فالجوع كارثة لا تعالـج"[٧٥]

حمـــــزة:

أما أشعار حمزة الغنائية فـتبين أن "شاعر الثورة" هذا، شاعر ساحر، تابع أفـضل تقاليد الأدب الأوزبكي الكلاسيـكي، وتشعر من خلال أشـعاره بروح الشعـراء العظام من أمثال نوائي ومـشرب، وفي مجموعته الغزلية يتابع حمزة تقليد مشرب:

"لو أن الله أعطاني حتى ألف عام من الحياة

لما استطعت وصف جمالك كاملاً"[٧٦]

يمكن تشبيه هذا البيت بما كتبه مشرب:

"ظهر أن قصر هذه الجميلة بعيد جدًا، يا مشرب

لا يمكنك المسير إليه، ولو سرت على طريقه ألف عام"

ويتوافق من حيث المضمون مع ما يلي:

في قصيدة "أونوت" معناها - إنْسَ يدعو الشاعر للسجود لله تعالى فقط دون غيره والالتزام بتعاليمه والتخلي عن الشهوات والتعالي:

"لا تستمع إلى نصائح من ليس صديقًا

فهو وحده الله الناصح، انس كل الناصحين

استمع له دومًا، والتزم بقوله

وضع رجاءك فيه وانس الأخطار

وفي سعيك وراء التعالي، لا تكن شيطانا

كن متواضعًا، يا نيحان، وانس التكبر" (٨٤)

وغالبًا ما تصادف اسمي يوسف وزليخة في أشعار حمزة:

"إن زليخة لن تصل إلى يوسف

لو لو لاحقته مدى الحياة" (٨٥)

طبعًا إن هذا التأويل لرواية يوسف وزليخة بسيط جدًا حتى ولو كان الشاعر يقصد بهذا "أن من جد وجد" (٨٦)

في البيت التالي يتذكر الشاعر أسماء العشاق الكبار من أجل الحديث عن تفرقة العشاق:

أيها السيئ، الله وحده يعلم" [٨١]

ظل التأثير الديني قـويًا في أشعار حمزة، فاسـتعمل اسم الله تعالى في كل قصـائده، وأرسل الحبيبة إلى مـحكمة الله، وناجى ربه وطلب الملجـأ عنده، واستـعمـل بفن الإشارات القـرآنية. يقـول في قصيدته "داريغوه" إن سبب تحلل العصر يعلمه الله وحده:

"يا ويلي، تحلل العصر وتدنى

وانتصرت فيه عناصر الشر

لا أحد يستمع إلى كلمة الحق

كل الدروب إلى الضمير أقفلت

يقول نيحان، انحط العصر

ما العمل الآن، الله وحده يعلم" [٨٢]

وفي البيت التالي يتحـدث الشاعر عن حبيبتـه ويقول إن عليها أن تزوره إذا كانت تخاف الله:

"إذا خفت الله

فزوريني

أنا بانتظارك بفارغ الصبر" [٨٣]

وانعكس الخوف من يوم الحساب في البيت التالي:

"ليس في العالم إنسان بلا آثام

فماذا سنفعل عندما يأتي الحساب" [٩٢]

من المعروف أن الحديث الشريف أتى على سيرة فائدة التصرفات الطيبة للإنسان. فقد جاء في أحد الأحاديث ما معناه: إن تصرفات الإنسان الجيدة تعود عليه بفوائد جمة ويمكن مساواتها بتلاوة القرآن والصيام[٩٣]. وفي حديث آخر، جاء أنه ليس هناك أفضل للإنسان من أداء الصلاة، إلاّ الوفاق والطيبة[٩٤].

وجاء في حديث آخر: إن الإنسان ذا التصرفات الجيدة يعتبر مسلمًا حقيقيًا[٩٥].

وإليكم ما قاله حمزة في هذا الصدد:

"إذا كنت من أصحاب التصرف الحسن

فستحصل على الاحترام في الدنيا والآخرة" [٩٦]

إذًا، يقول الشاعر إن التصرف الحسن يأتي بالاحترام لصاحبه في العالمين، ويشير البيت التالي إلى أن النبي محمدًا ﷺ كان يحظى بالاحترام حتى قبل نزول الوحي الإلهي عليه، بسبب تصرفاته الحسنة:

"فُرِّق العندليب عن الزهرة

وفرِّق المجنون الفقير عن ليلى" [٨٧]

وتشير دراسات أعمال حمزة إلى أن أبياتًا كثيرة من أشعاره تمتزج بموضوعات القرآن والأحاديث الشريفة، منها مثلاً حول حديث معناه: أمنعكم من الإساءة إلى اثنين ضعيفين: الطفل والمرأة[٨٨].

يقول حمزة:

"لا تسئ إلى اليتامى، وتظن أنهم دون حماية

فعلى الأقل عندهم حامٍ، الرب الذي خلقهم" [٨٩]

في البيت التالي يقول الشاعر إنه لا ينبغي تمضية الحياة في الأفراح، فغدا سيسأل كل إنسان على أعماله في يوم الحساب:

"لا تستسلموا لخيرات الأرض

فاليوم هدوء، لكن غدًا سيأتي يوم الحساب" [٩٠]

وفي بيت آخر من هذه القصيدة يقول الشاعر: اسق شجرة الإيمان بماء الحقيقة فتنمو وتعطيك ثمار الصلاة:

"شجرة الإيمان، اسقها بماء الحقيقة

فتنمو وتعطيك ثمار الصلاة" [٩١]

وبعت كل شيء دائمًا

ذهبت كل الأحلام الطيبة

جاء هذا "البلشفي" فقضى علي

وطردني حتى احتجت لكسرة الخبز

وانفض الناس جميعًا من حولي

لست أدري أين دليلي - الشيطان" (٩٩)

كتب العالم المشهور الدكتور صلاح الدين ماماجانوف: "إن ريادة حمزة في موضوع التعليم والمعرفة تتمثل في أنه تمكن من الربط بين الإسلام والطريقة الجديدة، واستعمل القرآن الكريم والحديث الشريف على نطاق واسع، ودعا الناس إلى المعرفة والتطور.

في دراما "الحياة المسممة" تقول مريم خان: "الشريعة تمنع الظلم!"، "الشريعة مع العدالة!"، "الإسلام لا يموت". ويعتقد حمزة أن ليس هناك "قومية" لأولئك الذين يتقبلون الرشاوي ويبيعون دينهم.

... في نهاية قصته: "السعادة الجديدة"، نقرأ ما يلي: "الله - ليس طاغية، وهو يعطي الجميع، ويقول دائمًا إن السعادة في المعرفة، والدناءة في الحقد، وكل عمل متعلق بالإنسان نفسه" (١٠٠).

"عرف بتصرفه الحسن بين الكفار

وقبل نزول الوحي عرف بالأمين" (٩٧)

وحول نفاق أحد العلماء المفكرين فقط في مصالحهم الخاصة كتب حمزة يهجو:

"لشيخنا وجهان

وعيناه في جيوب الناس

عليه عمامة تنهب الناس

ليحصل على ممتلكاتهم أو ابنتهم" (٩٨)

بعد الثورة ودخول الشيوعية إلى البلاد، جرى إعلان الدين على أنه أفيون الشعوب، فساء حال الشيوخ وألف الناس أغنية باسمهم:

ذهب كل شيء الآن للأسف

ذهبت الموائد، وذهب البسطاء

ذهب الشياطين باسم "خلفى" و"ذاكر"

ذهب خداعي الحلو

ولم يعد الشعب يعتبرني قديسًا

لقد أضعت ضميري كليًا

"إذا لم يفق الشعب من حلمه

فأي إسلام هذا؟

فمن يريد النوم دائمًا - ليس إنسانًا

انظروا إلى العلماء لا يفعلون شيئًا لشعبهم

لذا يغرق الشعب أكثر في غياهب الجهل"[١٠٣]

وفي قصيدته "امتحان الأولاد" يؤكد الشاعر على فكرة ضرورة حصول الجميع على التعليم وقراءة القرآن ومعرفة المواضيع الدينية:

"علينا أن نتعلم

وعلى آبائنا أن يسمعونا

المدرسة تعطي العلم والعلم لؤلؤة

قال النبي في العديد من أحاديثه

فليقرأ كل مسلم القرآن

يحيا العلم، يحيا الشعب"[١٠٤]

ارتبطت مناجاة تولّى لله أيضًا باستفاقة الشعب وسعادته:

"نمنا طويلاً، متى سنستيقظ يا إلهي

تولـــى:

تمكنّا بعد الحـصول على الاسـتقلال من قـراءة كتاب الشـاعر الشهيـر تولّى (١٨٨٢ - ١٩٣٩م) "رونق الإسلام"[١٠١]، ويبدأ هذا الكتاب بحـمد الله، فقـد كان تولّي مـسلمًا تقيًـا وصاحب ضمـير، ووحد في قـصائده "الرب والشعـب"، و"الرب والقوميـة"، وكتب أشعـارًا تقدمية كـثيرة، ذات توجه تنويـري ومرتبطة بالله، وآمن بأن الثورة التي وقـعت في البلاد ستجعـل من الجميع متسـاوين أمام الله وأنهم سيمتلكون ممتلكات متساوية، وكمثل على ذلك نورد بعضًا من قصيدته "تهنئة بالحرية":

"أعزائي المسلمين، تهاني لكم بعمل الخير

جاءت إلى النور الحرية بخير الله

فقم، لا تكذب ، لا تخدع

ألبس ثيابك، فالفرح يعم الجميع

وإذا كنت طيبًا وقدمت الصدقات دائمًا

سيكافئك الله في يوم البعث . . . "[١٠٢]

وفي القصـيدة التـالية يأسف الشـاعر لغرق الشـعب في حلم الجهل دون أن يوقظه العلماء:

موضـوعًا حيويًا في أيامنا هذه أيضًـا، إذ أن الكثير من الشـعائر التي يمارسها شعبنا غير موجودة في الإسلام، كما ويرفض ديننا الكثير من الشعائر المرتبطة بالأعراس والدفن.

منع النبي محـمد ﷺ العويل على الميت والبكاء عليـه أكثر من ثلاثة أيام، ولسنا الآن بصدد مـختلف الشعـائر في هذه الدراسة، إلا أن هذه الرواسب التاريخية تتعـارض مع الشعائر الدينية، ذلك أن الناس مثلاً تنفق أموالاً باهظة على الأعراس والاحتفالات الأخرى في الوقت الذي ترفض فيه شراء المجلات والصحف بأبخس الأثمان:

"إذا لم يعط الأهل المال للمدرسة

في العرس يدفعون الكثير من أجل الثياب المهملة" (١٠٨)

وفي البيت التالي نرى الانحلال الروحي والخلقي:

"لا أسف على المال من أجل البار، المومس والمطعم

ولا يريدون شراء صحيفة بخمسة قروش" (١٠٩)

تظهر أشعار تولّى أنه كان مـسلمًا حقًا ومناضلاً من أجل العلم والمعرفة، ويرى أنه لا يمكن تصور وجـه المجتمع الأخلاقي - الروحي بدون الإسلام، ولا يناجي الشاعر الله تـعالى من أجل أن يغفر ذنوبه فقط وإنما أيضًا من أجل إصـلاح حال الأمة ولخلق الضميـر في أفئدة

هذا الحلم جعلنا كسالى، يا إلهي" [١٠٥]

وفي معرض انتقاده للرواسب القديمة، والعادات السيئة والغنى الفاحش ،يشير الشاعر بأسف إلى ما ينفق في الأعراس والحفلات الأخرى، ويقول إن هذا الموضوع ما يزال حيويًا حتى يومنا هذا:

"يسعى الناس في العالم في طلب العلم

ونحن ما زلنا ننظم الأعراس والحفلات

نحتفل بالأعراس ونهدي الضيوف العباءات

فيمجدونا بالأبواق والنفير" [١٠٦]

وفي قصيدته الخاصة "حول الأعراس" ينتقد الشاعر الإنفاق الزائد في الأعراس وحفلات الختان، ويؤكد أن ليس بإمكان كل إنسان الإنفاق في حالات الموت:

"باع كل شيء للإنفاق على شعائر الدفن

وأبقى نفسه بلا كسرة خبز

كم من الأموال تذهب من أجل موت الإنسان

لقد مات، فلماذا كل هذه الصعوبات؟" [١٠٧]

يبقى كل ما تحدثنا عنه في هذه الدراسة حول العلماء والدين

فيصبح إنسانًا لطيفًا وسيعدًا، وإذا شب الإنسان دون تربية ودون أخلاق فلن يخاف حتى الله، ولن يعترف بالشريعة ولن يستمع لرأي الآخرين، ويقوم بأعمال مشينة ويصبح شريرًا وقاسيًا.

قال النبي محمد ﷺ ما معناه: إن الإنسان صاحب الإيمان الكامل هو الإنسان صاحب التصرف الحسن، وأفضل شخص هو ذاك الذي يحترم زوجته:

"ينّور الله الناس دون استثناء

إلا أن التربية وحدها توصلهم إلى الكمال

والطفل المتروك يصبح ويلاً

وإذا ربيتم روحه يصبح لكم جناحًا

وإذا رُبي ابن الحداد، يصبح عالمًا

وإذا لم يربَ حتى ابن لقمان يصبح مهملاً

ابن نوح اقتدى بالسيء فأصبح بلا ضمير

وإذا رُبي الكلب جيداً يخدم صاحبه بأمانة" (١١٠)

الناس الذين يعيش معهم.

عبد الله أولاني:

يُعد عبد الله أولاني ابن الوطن الحقيقي، فقد ضحى بحياته من أجل تطور الأمة، وكرس حياته لنشر المعرفة بين الشعب، ويمكن كتابة عشرات الكتب عن عبد الله أولاني، إلا أننا سنتطرق في هذه الدراسة فقط إلى المواضيع الدينية في إبداعه، وسنحاول ذلك عبر مؤلَّفه "أتراك غوليستان أو الأخلاق".

يعد هذا المؤلَّف مؤلفًا تربويًا يعبر فيه عبد الله أولاني عن نظراته الاجتماعية، الأخلاقية والمعرفية، ويُعد هذا الكتاب كتابًا مهمًا مثله مثل "قابوس نامه" لقايقاووس، و"قوتادغو بيليك" ليوسف خاص الحاجب، و"سعادات نامه" لناصر خسرو و"غوليستان والبستان" لسعدي، و"بحاريستان" لجامي، و"محبوب القلوب" لنوائي، و"أوزيلارغا نصيحتي" لأحمد دانيش وغيرها من المؤلفات المهمة.

خلق الله تعالى الإنسان ومنحه المعرفة والموهبة ولهذا يمكنه تميز الجيد من السيء، والمفيد من غير المفيد، والأبيض والأسود، إلا أن الإنسان يصل إلى الكمال عن طريق التربية، فإذا حصل على تربية جيدة يحمي نفسه من التأثيرات السيئة ويعتاد على التصرف المثالي

(٢١) د. سعيد بيك حسن، شاعر حسّاس، ص ٤.

(٢٢) د. ت. جوا نمرد ييف "هويـدا ودستانه راحـة دل"، طشقند، ١٩٩٤م، ص ٦.

(٢٣) نادرة "إيْ سْروي روان"، مقدمة، ص ٧.

(٢٤) المصدر السابق نفسه، ص ٨.

(٢٥) المصدر السابق نفسه.

(٢٦) المصدر السابق نفسه، ص ٥٤١.

(٢٧) المصدر السابق نفسه، ص ١٦.

(٢٨) المصدر السابق نفسه، ص ٥٦.

(٢٩) المصدر السابق نفسه، ص ٦٩.

(٣٠) ديوان شاعرات الأوزبك، طشقند ١٩٩٣م، ص ١٢٩.

(٣١) المصدر السابق نفسه، ص ٢١.

(٣٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣١.

(٣٣) ديوان شاعرات الأوزبك، ص ١٣.

(٣٤) المصدر السابق نفسه، ص ٣٤.

(٣٥) المصدر السابق نفسه، ص ٥٨.

(٣٦) المصدر السابق نفسه، ص ٥٨.

(٣٧) من أشعار آكهي، طشقند ، ١٩٨٣م، ص ٧.

(٣٨) المصدر السابق نفسه، ص ١٣.

(٣٩) المصدر السابق نفسه، ص ١٥.

(٤٠) المصدر السابق نفسه، ص ١٨.

(٤١) د. نصرت الله جمعه خوجه، تصوف وإفادة الأحلام الأدبية، ص ١٧١.

(٤٢) من تاريخ الفكر الفلسفي الاجتماعي في أوزبكستان، ص ٣٦.

(٤٣) د. جلالوف أ. "الأدب الأوزبكـي في النصف الثاني من القـرن التاسع عـشر

هوامش الفصل السادس

(١) من تاريخ الفكر الفلسفي الاجتماعي في أوزبكستان - طشقند، أوزبكستان، ١٩٩٥م، ص ١٨١.

(٢) العلماء العظماء، المجلد الثاني، طشقند، ١٩٩٧م، ص ١٤٠- ١٤١.

(٣) عظيم خوجة إيشان. الحكم، المقدمة، ص ٣.

(٤) عظيم خوجة إيشان - الحكم. ص ٣٨ - ٣٩.

(٥) عظيم خوجة إيشان، الحكم، ص ٣٥.

(٦) عظيم خوجه ايشان، الحكم، ص ٣٣.

(٧) المصدر السابق نفسه، ص ٣٢.

(٨) نفسه ، ص ٣١.

(٩) نفسه، ص ٣٦.

(١٠) نفسه، المقدمة، ص ١٣ - ١٤.

(١١) بابا رحيم مشرب "ديوان القصائد"، ص ٩١.

(١٢) المصدر السابق ، ص ٩٢.

(١٣) قصص مشرب، ص ١٠.

(١٤) زاهد ر. ماذا نعرف عن صوفي الله يار؟ طشقند ١٩٩٦م، ص ١٣٦.

(١٥) العلماء العظماء، المجلد الثالث، ص ٥٢.

(١٦) زاهد ر. ، ماذا نعرف عن صوفي الله يار؟ ص ١٥٤.

(١٧) سعيد تركستاني "صوفي الله يار" ص ٢٨٦.

(١٨) مخزن المخطوطات لمعهد الاستشراق لجمهورية أوزبكستان، رقم المخطوط ٧٤٩٣.

(١٩) دهقانوف، أ. "أربعون حديث" لمحيِّر، مجلة اللغة والأدب الأوزبكي، ١٩٩٣م، عدد ٥ - ٦، ص ٣٩.

(٢٠) المصدر السابق نفسه، ص ٤١.

(٦٦) المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٨.

(٦٧) الأحاديث المتعلقة بالآداب ، ص ٢٠.

(٦٨) ديوان الأشعار الأوزبكية، المجلد الثالث، ص ٣٩١.

(٦٩) من أشعار زيبونسا ودلشاد وعنبر آتين، طشقند، ١٩٨١م، ص ٣٩.

(٧٠) "باي" لقب أوزبكي يعني "بك"

(٧١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٠ - ٢١.

(٧٢) د. جلالوف أ. الأدب الأوزبكي في أواخر القرن ١٩م، ص ٧٠- ٧١.

(٧٣) بهلوان محمود، رباعيات ، طشقند ١٩٧٩م، ص ٤٣.

(٧٤) ديوان الأشعار الأوزبكية، المجلد الثالث، ص ٤٠٠.

(٧٥) المصدر السابق نفسه، ص ٤١٤.

(٧٦) حمزة حكيم زاده نيازي، المختارات ، طشقند ١٩٨٩م، ص ٣٤.

(٧٧) مشرب ديوان، ص ٩١.

(٧٨) حمزة المختارات، ص .

(٧٩) بابا رحيم مشرب، ص ٢٦.

(٨٠) نفسه، والصفحة ذاتها.

(٨١) حمزة ، المختارات ، ص ٥٢.

(٨٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٨.

(٨٣) نفسه، ص ٤٢.

(٨٤) نفسه، ص ٦٣.

(٨٥) نفسه، ص ٦٢.

(٨٦) عثمان ناصر، الأشعار، طشقند، ١٩٨٨م، ص ٢٦.

(٨٧) حمزة، المختارات، ص ٦٥.

(٨٨) الأحاديث المتعلقة بالآداب، ص ٥٦.

(٨٩) المصدر السابق نفسه، ص ٧٥.

وبداية العشرين"، طشقند ١٩٩١م، ص ٢٨.

(٤٤) محمد رحيم خان فيروز، ديوان الغزل، طشقند ١٩٩١م، و طشقند، ١٩٩٤م

(٤٥) إسماعيلوفا ك. "محمد رحيم خان فيروز، ديوان الغزل، ص ٥٨.

(٤٦) ديوان محمد رحيم خان فيروز، ص ١٠.

(٤٧) المصدر السابق نفسه، ص ١١.

(٤٨) المصدر السابق نفسه، ص ٨.

(٤٩) ديوان الأشعار الأوزبكية، ص ٢٦٤.

(٥٠) من تاريخ الفكر الفلسفي الاجتماعي في أوزبكستان، ص ٢٠٥- ٢٠٦.

(٥١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٦٦.

(٥٢) الأحاديث المتعلقة بالآداب، ص ١٠٦.

(٥٣) ديوان بابا رحيم مشرب، ص ٣٥.

(٥٤) ديوان الأشعار الأوزبكية، المجلد الثالث، ص ٣٠٩.

(٥٥) عبد الله عارف، "مجمع الأشعار"، طشقند.١٩٨٧م، ص ١٠٣.

(٥٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو داوود والترمذي وأبي ماجة، انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٢٣٤٨.

(٥٧) فرقت، المؤلفات المختارة، طشقند، ١٩٧٥م، ص ١٧٧.

(٥٨) ديوان الأشعار الأوزبكية، المجلد الثالث، ص ٣٢٠.

(٥٩) فرقت المؤلفات المختارة، ص ١٨.

(٦٠) المصدر السلبق نفسه، ٣٦.

(٦١) المصدر السابق نفسه، ص ٤١.

(٦٢) المصدر السابق نفس، ص ٦٠

(٦٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٠.

(٦٤) العلماء العظماء، ص ١٠٤.

(٦٥) ديوان الأشعار الأوزبكية، المجلد الثالث، ص ٣٨٨.

الفصل السابع ...

الأدب الأوزبكي في عصر الاستقلال

١- انتصار القيم.

٢- قصة عن يساوي.

٣- الحديث النبوي والشعر المعاصر:

- عبد الله عارف - عبد الرحمن القادري

- أنور حاجي أحمد - شكور قربان

(٩٠) المصدر السابق نفسه، ص ٧١.

(٩١) المصدر السابق، ص ٧١.

(٩٢) المصدر السابق نفسه، ص ٨٢.

(٩٣) الأحاديث المتعلقة بالآداب، ص ١٣٢.

(٩٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٠.

(٩٥) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦.

(٩٦) حمزة ، المختارات، ص ٨٢.

(٩٧) المصدر السابق نفسه، ص ٨٢.

(٩٨) المصدر السابق، ص ٨٨.

(٩٩) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٣.

(١٠٠) د. صلاح الدين ماما جانوف ومقاله في كتاب "العلماء العظماء"، المجلد الثالث، ص ١٣٧- ١٣٩.

(١٠١) تولّى، رونق الإسلام - طشقند "فان" ١٩٩٣م.

(١٠٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٤.

(١٠٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٦.

(١٠٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٦- ١٧.

(١٠٥) تولّى، "رونق الإسلام"، طشقند "فان" ١٩٩٣م.

(١٠٦) المصدر السابق نفسه، ص

(١٠٧) المصدر السابق نفسه، ص ٤٥.

(١٠٨) المصدر السابق نفسه، ص ٤٥.

(١٠٩) المصدر السابق نفسه، ص ٤٠.

(١١٠) عبد الله أولاني "تركي كوليستان أو الأخلاق"، طشقند ، ١٩٩٢م، ص ١٢.

الفصل السابع

الأدب الأوزبكي
في عصر الاستقلال

١ - انتصار القيم:

تنبعث في بلادنا - بفضل الاستقلال - هذه الأيام القيم التاريخية، والتقاليد العريقة. لقد كانت البريسترويكا والغلاسنست التي بدأت في النصف الثاني من الثمانينيات الخطوة الأولى على هذا الطريق، إلا أن الاستقلال القومي هو الذي أزال كل الحواجز، التي كانت تقف في طريق وعي النفس، وأدى ظهور الوعي الديني إلى تأثيرات إيجابية على المجتمع وعلى العلوم والآداب، وهذا ما تحدث عنه رئيس جمهورية أوزبكستان إسلام كريموف خلال الدورة السادسة عشرة للمجلس الأعلى (البرلمان) في الجمهورية والتي جرت في ١٤١٥هـ (٢٢ أيلول - سبتمبر عام ١٩٩٤م)، وقال: "إن احترام الإسلام، الذي هو دين آبائنا وأجدادنا يؤدي إلى إغناء حياتنا وروحنا بمعان جديدة، ولا يمكن لأحد أن ينفي ذلك"[١].

يمكن تقسيم الأعمال التي يجري القيام بها لدراسة القيم الدينية إلى ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: ترجمة القرآن الكريم والحديث الشريف إلى اللغة الأوزبكية وإصدارها[٢]، وظهور العديد من المؤلفات التي تحكي

وملحدين. وقد تم في تلك المرحلة عزل الأدباء المؤمنين وتشويه سمعتهم ورفع مرتبة الأدباء الملحدين، وفي حينه حذر العالم ي. أ. بيرتلس من هذا التقسيم وأكد أنه لا يمكن اعتبار نوائي ملحدًا لأنه انتقد جشع الشيوخ في بعض مؤلفاته[٦].

اعتبر نوائي، وبابر، ومشرب، وآكهي، ومونس، ومقيمي، وفرقت وغيرهم ممثلين للأدب الديمقراطي، وأحمد يساوي، وسليمان باقر غني، وصوفي أللە يار وغيرهم من ممثلي الأدب الديني، وهكذا قسم الأدباء إلى معسكرين متناقضين رفع شأن أحدهما وحط من قدر الآخر، وساهم في هذا الموضوع على قدر كبير علماء مثل عبد الرحمن سعدي ووحيد زهيدوف، أما ي. أ. بيرتلس فاتخذ موقفًا حذرًا"[٧].

وهكذا فسرت قناعات الشعب الدينية في العصر السوفيتي على أنها من عوامل الجهل والحفاظ على التقاليد القديمة، وتم إصدار العديد من المؤلفات الأدبية التي تطعن في "الجوهر الرجعي" للإسلام، وتنتقد العلماء، وأصبح الموضوع الأساسي للأدب يتمثل في خلق نموذج الشخصية الشيوعية "البطل المعاصر" المتحرر من كل الخصائص الدينية والقومية.

ثم تنقية وتنظيف المؤلفات الأدبية من الألفاظ والتعبيرات الإسلامية مثل "إلهي"، و"الرب"، و"لأجل الله"، و"الحمد لله" وغيرها مما أدى طبعًا إلى نوع من التصنع في حديث أبطال الروايات،

عن سيرة النبي محمد ﷺ والصحابة والدعاة العظام والمتصوفة[٣]، وظهور أبحاث حول موضوعات الدين[٤]، وإصدار مؤلفات المتصوفين[٥]، مما سيسمح بكل تأكيد بزيادة الوعي الديني لدى الشعب وتعزيز التربية الإسلامية، وتوطيد القناعات وتحسين الأجواء الأخلاقية - الروحية في المجتمع.

الاتجاه الثاني: إحياء التراث الروحي للشعب، تراث العلماء والمؤلفين الذين مُنعت دراسة مؤلفاتهم، وبذلك يتم من الناحية العلمية تقييم حياة وإبداع أبناء ما وراء النهر كمحمود الزمخشري والترمذي ونجم الدين كبرى بهاء الدين النقشبندي، والأمير تيمور وغيرهم. وقد تم رفع الحظر عن دراسة مؤلفاتهم.

الاتجاه الثالث: تجري الاحتفالات على نطاق واسع احتفالاً بيوبيل أجدادنا العظماء على الصعيد المحلي وعلى الصعيد الدولي. وتجري الآن دراسات كثيرة حول مؤلفاتهم التي كانت ممنوعة، ولتأكيد ذلك نشير إلى إقامة يوبيل أحمد يساوي على المستوى الدولي، وكذلك الترمذي، وبهاء الدين النقشبندي والأمير تيمور، وميرزا أولوغ بك، والإمام البخاري، وأحمد الفرغاني وغيرهم وعلى المستوى المحلي يوبيل محمود الزمخشري، وبهلوان محمود وغيرهما. ويدل كل هذا على أن جمهورية أوزبكستان تسير على طريق الوعي وتفهم القيم الروحية.

بعد ثورة أكتوبر الشيوعية انقسم الأدباء الأوزبك إلى مؤمنين

الاستقلال، تم وضع حد لهـذا المرض، وقال عالم الأدب طاهر شير مراد: "لقـد بدأنا بالتحـرر من هذا المرض، من مرض تعظـيم الآلهة الصغار كلينين وستالين وغيرهما من قيادات الحزب والدولة"[١١].

منذ أكثـر من عشر سنوات بدأت بالظهور من جـديد المؤلفات التي تمجد القناعـات الإسلاميـة والتي تحكي عن حياة وعـمل العلماء وتمجد القـرآن الكريم والحديث الشريف، ومن هذه المؤلفـات: كتاب عبد الله عـارف "حكمت سادة لاري"[١٢]، ومجـموعة عـالم جان بورييف "تاج معنويات"[١٣]، وكتاب الأسـتاذ الدكتور أنـور خوجه أحمد "جنات كالتي"[١٤]، رباعيات شكور قربان[١٥]، وقصة سعد الله سيـيايف عن "أحمـد يساوي"[١٦]، وأشعـار الشاعر أ. أوكـتام الدينية[١٧]، وسـراج الدين سيـد[١٨]، وأشعـار عالم جـان بورييف "محمد بايغمبر"، و"البخاري"[١٩]، وقصص إبراهيم غفوروف[٢٠]، وكتـابه "قصـائد منثورة"[٢١] عن مشـرب وغيـره، وقد كـتبت هذه المؤلفات على أساس الحديث الشريف.

وقـد رأى مـؤلف هذه الدراسـة التطرق إلى مـوضـوع ازدهار الموضوعـات الدينيـة في الأدب الأوزبكي عصـر الاستقـلال لأن هذا الموضوع مـرتبط بشكل مباشـر بالموضوع الذي تعالجـه هذه الدراسة، وقد مضى على الازدهار أكثر من عشر سنوات، إلا أنه لم تصدر بعد أي دراسة في هذا الصدد، وهذه الدراسـة هي الأولى، لذلك فهي لا تلم بكل جـوانـب الموضـوع، إذ ليس هناك الإمكانيـة لـتـحليل كل

ولم تمنع فقط الكتب الدينية وإنما منعت أيضًا الكتب التي أتت على ذكر الشخصيات الدينية بشكل أو بآخر، فمثلاً في عام ١٩٦٧م زار الشاعر عبد الله عارف مع ناصر فضيلوف تركستان وقاما بزيارة ضريح أحمد يساوي. وعلى أساس هذه الذكريات كتب عبد الله عارف قصيدة "عند ضريح أحمد يساوي" لكنه لم يتمكن من نشرها إلا بعد ظهور العلنية في الثمانينيات[٨].

في كل المنشورات التي ظهرت فيها هذه القصيدة، ظهرت دون عنوان، عدا ذلك في الإصدار الثاني لكتاب "يلار أرماني" غيرت كلمة "يساوي" إلى كلمة "يخشى لار" (الناس الطيبين)

أيها الفاجر، الساعي للغنى، اليوم

خذ حرزًا من التراب الذي يرقد فيه الناس الطيبون[٩]

وفي النشر الثاني لهذه القصيدة جاء النص على أصله:

أيها الفاجر، الساعي للغنى، اليوم

خذ حرزًا من التراب الذي يرقد فيه يساوي[١٠]

في رواية تاغاي مراد "أناس تحت القمر" يوجد جزء مكرس لصوفي أللّه يار. حيث يذهب بطلا الرواية قبلان وآيمامه بعد ترك الطفل إلى ضريح صوفي أللّه يار. إلا أن المؤلف أشار إلا أنه اضطر في الإصدارات الأولى إلى حذف هذا الجزء.

في النصف الثاني من الثمانينيات، وبعد ذلك، في سنوات

الاستقلال، تم وضع حد لهـذا المرض، وقال عالم الأدب طاهر شير مراد: "لقـد بدأنا بالتحـرر من هذا المرض، من مرض تعظـيم الآلهة الصغار كلينين وستالين وغيرهما من قيادات الحزب والدولة"[١١].

منذ أكثـر من عشر سنوات بدأت بالظهور من جـديد المؤلفات التي تمجد القناعـات الإسلاميـة والتي تحكي عن حياة وعـمل العلماء وتمجد القـرآن الكريم والحديث الشريف، ومن هذه المؤلفـات: كتاب عبد الله عـارف "حكمت سادة لاري"[١٢]، ومجـموعة عـالم جان بورييف "تاج معنويات"[١٣]، وكتاب الأسـتاذ الدكتور أنـور خوجه أحمد "جنات كالتي"[١٤]، رباعيات شكور قربان[١٥]، وقصة سعد الله سيـيايف عن "أحمـد يساوي"[١٦]، وأشعـار الشاعر أ. أوكـتام الدينية[١٧]، وسـراج الدين سيـد[١٨]، وأشعـار عالم جـان بورييف "محمد بايغمبر"، و"البخاري"[١٩]، وقصص إبراهيم غفوروف[٢٠]، وكتـابه "قصـائد منثورة"[٢١] عن مشـرب وغيـره، وقد كـتبت هذه المؤلفات على أساس الحديث الشريف.

وقـد رأى مـؤلف هذه الدراسـة التطرق إلى مـوضـوع ازدهار الموضوعـات الدينيـة في الأدب الأوزبكي عصـر الاستقـلال لأن هذا الموضوع مـرتبط بشكل مباشـر بالموضوع الذي تعالجـه هذه الدراسة، وقد مضى على الازدهار أكثر من عشر سنوات، إلا أنه لم تصدر بعد أي دراسة في هذا الصدد، وهذه الدراسـة هي الأولى، لذلك فهي لا تلم بكل جـوانـب الموضـوع، إذ ليس هناك الإمكانيـة لـتـحليل كل

ولم تمنع فقط الكتب الدينية وإنما منعت أيضًا الكتب التي أتت على ذكر الشخصيات الدينية بشكل أو بآخر، فمثلاً في عام ١٩٦٧م زار الشاعر عبد الله عارف مع ناصر فضيلوف تركستان وقاما بزيارة ضريح أحمد يساوي. وعلى أساس هذه الذكريات كتب عبد الله عارف قصيدة "عند ضريح أحمد يساوي" لكنه لم يتمكن من نشرها إلا بعد ظهور العلنية في الثمانينيات[٨].

في كل المنشورات التي ظهرت فيها هذه القصيدة، ظهرت دون عنوان، عدا ذلك في الإصدار الثاني لكتاب "يلار أرماني" غيرت كلمة "يساوي" إلى كلمة "يخشى لار" (الناس الطيبين)

أيها الفاجر، الساعي للغنى، اليوم

خذ حرزًا من التراب الذي يرقد فيه الناس الطيبون[٩]

وفي النشر الثاني لهذه القصيدة جاء النص على أصله:

أيها الفاجر، الساعي للغنى، اليوم

خذ حرزًا من التراب الذي يرقد فيه يساوي[١٠]

في رواية تاغاي مراد "أناس تحت القمر" يوجد جزء مكرس لصوفي أللە يار. حيث يذهب بطلا الرواية قبلان وآيمامه بعد ترك الطفل إلى ضريح صوفي أللە يار. إلا أن المؤلف أشار إلا أنه اضطر في الإصدارات الأولى إلى حذف هذا الجزء.

في النصف الثاني من الثمانينيات، وبعد ذلك، في سنوات

السنوات الأخيرة من حياة يساوي، عندما سافر الشيخ في رحلة طويلة إلى الديار المقدسة للحج، وتبدأ القصة من بلدته ياسي وتتابع رحلته وتوقفه في المدن والقرى حيث يلتقي الشيوخ، والقرويين، والفلاحين، والرعاة، والقضاة والحكام، ويلقي مواعظه حتى يصل إلى سمرقند، وهنا تنتهي القصة التي يبدو للوهلة الأولى أنها تشمل مرحلة زمنية قصيرة فقط.

تعرفنا القصة بالدرجة الأولى على حياة ومفاهيم عالم دين عظيم، وبالرغم من أن القصة تطرقت إلى سنوات حياته الأخيرة إلا أنها تطرقت إلى ذكرياته ملقية الضوء على سنوات طفولته وكيف تيتم منذ الصغر، ثم كيف رحل مع شقيقته جوهري شاهناز إلى جدهما في أرسلان باب، كما تحكي القصة عن أصدقائه عبد الله برقي، وحسن أندركي وعبد الخالق غيجدوفاني.

وتتطرق القصة أيضًا إلى الحياة الاجتماعية، والسياسية والروحية، وحالة الشعب وعمل الحاكم السلطان سنجار والحكام علاء الدين أوتسيز، ومحمود تومغتشر خان، وركن الدين وغيرهم من الذين حكموا في العصر الذي عاش فيه يساوي. كما تصور القصة لوحة المعركة بين القارا خيتايين والقار لوقيين، وتتحدث عن مكانة وأهمية الدين والزهد في حياة ذلك العصر.

إن الأهمية العلمية والأهمية الأدبية للمؤلَّف لا تقل إحداهما عن الأخرى، وكل منهما تكمل أختها، وقد كتبت هذه القصة بلغة

المؤلفات ذات المواضيع الدينية، وتهدف الدراسة فقط إلى إلقاء الضوء على المبادئ الأساسية للمواضيع الدينية في الأدب الأوزبكي المعاصر، ونأمل أن تدفع هذه الدراسة الآخرين لدراسة هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً.

٢- قصة عن يساوي:

اعتبر الشعر منذ القدم فنًا يتجاوب في حينه مع التغيرات الجارية في المجتمع، لذلك ما إن ازدهرت الموضوعات الدينية حتى ظهرت المؤلفات الشعرية حول الإسلام، ومع أن القيم الإسلامية انعكست في الأدب النثري، إلا أن المؤلفات النثرية في هذا المجال ما تزال قليلة وسنركز في هذه الدراسة على قصة سعد الله سيايف "يساوي نينغ سونغي سفري" وبعض القصص الأخرى، إلا أن التركيز الأساسي سيكون على الشعر.

من المعروف أن أحمد يساوي منع ومنعت دراسته ككثيرين غيره من الشعراء الدينيين في العصر السوفيتي، وأعلن أن "حكمه" رجعية. ومع عودة حرية الكلمة عادت حياة وأعمال الشخصيات الدينية لتصبح مادة أدبية للتأليف والنشر، وهكذا جرى في عام ١٩٩١م نشر "حكمت لار"[٢٢] أي كتاب حِكم أحمد يساوي، وأصبح هذا حدثًا مهمًا في الحياة الأدبية - الروحية في أوزبكستان.

بعد ذلك نشرت مجلة "شرق يولدوزي" قصة سعد الله سيايف "يساوي نينغ سونغي سفري"[٢٣] عكست هذه القصة

وحده قادر على ذلك[٢٤].

يختلط التحليل الفلسفي لأحمد يساوي عن الإنسان والعالم مع التفسير الأدبي للمؤلّف مما يعطيه زخمًا أكبر. فمثلاً إذا شبع الذئب يعطي ما بقي عنده من طعام لأقاربه الذئاب، أما الإنسان فلا يعطي ما هو ليس بحاجة إليه، ويمكن أن يدفنه في التراب أو يطعمه لبقرته ولا يعطيه لإنسان محتاج. "يا إلهي، لا أستطيع أن أفهم شيئًا. لقد تعلم الإنسان وأصبح عالمًا وراح يضع نفسه فوق بقية المخلوقات، ويفكر في مصالحه الخاصة ويسعى لينوع ملابسه ويأكل حتى الشبع، ومد يده إلى خبز غيره دون حياء ودون خوف من الله تعالى، وعلى العكس، ربما هناك إنسان لم يذهب إلى المدرسة ولم يتعلم، عاش من عرق جبينه فقط وصبر على ملذات الحياة وكره الشر، وإذا حصل على كسرة خبز تقاسمها مع المحتاجين"[٢٥].

هكذا كان الحال لقرون خلت، والحال هكذا جزئيًا اليوم، لذلك فإن هذه الأفكار مرت عبر قلب المؤلف واختلطت أحاسيسه بأفكار الشيخ.

ويعطي يساوي الرأي السائد في العالم الإسلامي من منظار التفكير والتحليل المرتبط بذكرى الإمام البخاري: "أرسل الله تعالى إلى الأرض رسولاً كي يهدي الناس إلى الصراط المستقيم، ويدعوهم للخير ويحميهم من الشر، لم يستمع إليه الناس فترك الرسالة في يد أصحابه، لكن دعواتهم لم تؤثر أيضًا في الناس، بعد ذلك حاول

بسيطة وأسلوب عذب، وتمكن الكاتب من التعبير عن روح العصر، وعلى سبيل المثال يمكن أن نورد مقطعًا من القصة حيث يطلب محمود توموغتشي خان إعادة ابنه الذي أعطاه للشيخ لتعليمه وأجابة الشيخ على هذا الطلب.

محمود خان: يا أستاذ، إن ابني الوحيد موجود منذ سنتين تحت إمرتكم، لقد تحدثنا مع الأمير (الابن) فأعرب عن احترام كبير لكم. بكلمة أخرى لقد حصل منكم على تربية جيدة ومثالية، وكل هذا واضح في أقواله وتصرفاته، إن هذا العالم فانٍ، والشباب يمر بسرعة وتمر قافلة الحياة في طريقها إلى سهل العجز؛ لهذا أود قبل أن أموت أن أسلم السلطة لابني الأمير الشاب القوي والعاقل، إلا أنني خلال الحديث معه فهمت أن الأمير إما لم يفهم مقصدي أو أنه لا يريد العرش، لذلك لنا رجاء كبير، عندك أيها الأستاذ، أن تسمحوا للأمير بالعودة إلى القصر واعتلاء العرش.

أحمد يساوي: حقًا، إن إرادة الله أقوى من حب الوالد، لقد بهر الله تعالى بنوره قلب قطب الدين، فماذا سنفعل إذا كان هذا النور أعلى بكثير من الرغبة بالعرش، ومن شهوات هذا العالم وثرواته، ليس لدينا إمكانية أخرى غير الخضوع لإرادة الله تعالى، وعليكم أن تساعدوا قطب الدين وتمنحوه الحرية، فإذا وقفت أنا كمعلم ضد الرغبة في الكمال الروحي وإذا وقفتم أنتم أيضًا كأب ضد ذلك فسنصبح آثمين معًا. إنه ليس بإمكاننا أن نأمر الروح، فالله

المؤلف كان على دراية واسعة بعلم الدين ونظريات الإسلام.

وإلى جانب بطل القصة الأساسي أحمد يساوي، تتحدث القصة عن سليمان باقر غني الذي كان أحب التلاميذ إلى الشيخ، لهذا كانا يقضيان معظم أوقاتهما معًا، لذا يمكن اعتبار هذه القصة قصة اثنين من العظماء: أحمد يساوي وسليمان باقر غني.

إذا انتقلنا إلى تحليل المؤلَّف من وجهة النظر الأدبية فسنكتشف عدم الدقة، فلم يتضح الموضوع حتى النهاية ولم تكتمل عقدة القصة، ونجد فيها شخصيات وأحداثًا لم تعلل كما يجب.

مثلاً، يأخذ شهاب الدين خوجة القرآن الكريم بيده ويقسم كذبًا، لذلك التوى فمه، إلا أنه يقع بعد عدة أيام عن حماره فيعود فمه إلى حالته الطبيعية، أو حكاية المرأة التي لبست ثياب أخي زوجها فحملت وحتى أنها أنجبت. برأينا لم يكن على المؤلف أن يورد في مثل هذه القصة مثل هذه الأخبار غير المعقولة.

وتدين القصة خروج صمد كارلوك على الإسلام وعبادته للنار، وفي مكان آخر تورد اقتباسًا من "أفيستو Abecto" مما يوجد تناقضًا منطقيًا.

بالرغم من مثل هذه الهفوات إلا أن القصة صورت لنا نموذجين لاثنين من أعظم الناس - أحمد يساوي وسليمان باقر غني، حيث عسكت حياتهما وأفكارهما وأنارت بعض جوانب التعاليم الإسلامية. كل هذا يعطينا الحق لتقييم هذه القصة تقييمًا إيجابيًا، كما تجدر

علماء أذكياء التأثير على بني آدم، لكن الناس لم يسمعوهم أيضًا، إن الحكام يسعون دائمًا ليصبحوا أكثر ثراء، والتعالي موجود في دمهم، وينظر العلماء إلى موائد الشيوخ، لكن الناس البسطاء يفكرون في كيفية إطعام أنفسهم، العلم مُذَلٌّ! هل يعقل أن يكون هذا مصير العلماء حتى نهاية الكون؟ العلم - شمعة تضيء العتمة، فمتى سيهتم الشعب بهذا النور؟ ومتى سيتبع ذلك الإنسان الذي ينير له الطريق؟ "[٢٦].

نجد في القصة كلمات وأفكارًا تربوية شبيهة بالأقوال المأثورة والحكم، قام المؤلِّف بابتداعها، وهذا عائد لخبرته الحياتية الطويلة وعلى الأرجح لتأثير كلمات يساوي التربوية. مثلاً:

الأرض حيث ولدتها هي لؤلؤة

وشكوة وردة وماؤها المر

حلوه كالعسل "[٢٧]

الرغيف الكامل جيد، والنصف كالعصا[٢٨]

يتنعش الميت لو استنشق ريحان سمرقند . .[٢٩].

لا تنبت أعشاب الحياة حيث تفوح رائحة الدم[٣٠].

طبعًا، إن التحليل الأدبي الكامل لا يدخل في نطاق عملنا ضمن هذه الدراسة، وإنما سندرس مستوى تصوير القصة للمواضيع الدينية والصوفية، وإذا نظرنا إلى القصة من هذه الناحية فسنعلم أن

ولمسلم أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار "لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة" فقالت امرأة منهن: أو اثنان يا رسول الله، قال: أو اثنان[٣٤].

أو الموعظة التالية: لا تلعن أبدًا شخصًا آخر؛ فهذا لا يعجب الله، وسيسألك: بأي حق تلعن شخصًا خلقته أنا بنفسي، أنا نفسي أرى ما يفعل وأنا نفسي أرى ما يستحق من عقاب"[٣٥].

نعتقد أن والد الكاتب سمع هذه الموعظة يومًا ما، ثم عدلت هذه الموعظة مع الزمن أو سقطت بعض أجزائها، فطرحت هنا بلغة شعبية سهلة الفهم.

والموعظة التالية هي حصيلة خبرة حياتية طويلة لشخص حكيم:

"عشت طويلا وطويلاً جدًا... وأقول لكم كل إنسان يريد العيش طويلا، لأن الشبع من الحياة يعني الشبع من ذكر الله حبيب الإنسان، فإذا عشت طويلا يعني أنك تسجد لله أكثر"[٣٦].

يتشرب قلبنا أكثر فأكثر القيم التي ترضي ربنا سبحانه وتعالى وينعكس ذلك في أعمالنا، عن هذا تتحدث مجموعة قصص إيركين ملك التي كتبت على أساس أحداث الناس الحياتية، فمثلاً بعث بطل إحدى القصص بردي رحمت الربح الزائد من التجارة هبة من الله فيعطيه للجنة الحي، فيقوم شاب باسم "اشبك" بحل مشاكل الحياة على أساس الحديث النبوي[٣٧].

الإشارة إلى أن هذه القصة هي الأولى في الأدب الأوزبكي التي تحكي عن شخصيات دينية.

٣- نعمت أمينوف:

نشر الكاتب الهجائي المعروف نعمت أمينوف مؤخرًا كتابه "بر عصر حكايتي" (حكاية عن أحد العصور)[٣١]، وكتبت الحكاية على لسان والد الكاتب الأسطى أمين الذي عاش مئة سنة كاملة، وقد حضر في شبابه الكثير من حلقات حديث الشخصيات الدينية في بخارى، ولم يضع الأسطى أمين إيمانه في هذا العصر الذي تبدل ألف مرة وعاصر كل ويلات وأفراح هذا العالم، وهذا المؤلف هو حكايا تربوية ذات طابع حياتي - فلسفي أشبه ما تكون بالحكمة الشعبية في حديث مبسط عميق الفلسفة، وهذا الكتاب يعطي مادة روحية كبيرة للناس.

مثلاً: "لا تفكر في قضايا هذا العالم، ولا تحزن على الأولاد المتوفين. الله أعطاك ثمانية أولاد وأخذهم.

أنت إنسان عاجز، لا يمكنك عمل شيء، الحمد لله أن لك ابنة وأحفادًا، صالحين، يدعون لك في هذه الدنيا... وربما سيسامح الله ذنوبك عندئذٍ..."[٣٢].

هذا الحديث الواعظ يتوافق مع حديث الرسول ﷺ القائل:

عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: "ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم"[٣٣].

أساس روايات ومؤلفات من مختلف المصادر، ونهدف منها إلى التأثير على قلب القارئ، قد يتعجب الشعراء من قوميات أخرى لهذا القول، إلا أن هذه الأحاذيث هي بالنسبة لي مكان آخر للحج، إنها قناعتي. وأود أن أوكد أنها دفعتني للقيام بهذا العمل، ويمكن هنا أن نتذكر شعراء كبارًا مثل غوته، وبوشكين وغيرهما كتبوا شرحًا للقرآن الكريم لقد أوجدت بنفسي تنظيم ومحتوى وشكل بعض القصائد المجموعة مثل "شاه وكدا"، "فرزند"، "موهوم ذات" وغيرها، إلا أنها تتوافق مع سور القرآن الكريم، ولا تتعارض مع تعاليم الرسول ﷺ(٤١)".

شرح جامي، ونوائي ومحيِّر معاني بعض الأحاديث برباعيات بسيطة سهلة اللغة، لأن هذا كان كافيًا في بلاد إسلامية، القناعة بالإسلام فيها قوية.

تتألف قصائد الحديث لدى عبدالله عارف بشكل رئيسي من ١٢ بيتًا (فقط قصيدة "قول واقويش" تتألف من ٤ أبيات).

يعود السبب في ذلك إلى الجهل الذي ساد في الأمور الدينية لدى الشعب الأوزبكي في مرحلة الحكم السوفيتي، خاصة لدى الجيل الذي تربى بروح الماركسية - اللينينية، إذ حرم هذا الجيل كلية من القيم الدينية؛ لهذا كان من الطبيعي ألا يعمد عبد الله عارف إلى الرباعيات كبقية الشعراء، لأنه سيكون من الصعب على القارئ المعاصر فهمها، وقد أخذ الشاعر كل هذا بعين الاعتبار واستعمل

وهكذا تابعنا في هذه الفقرة بداية ظهور المواضيع الدينية في النثر الأوزبكي، الذي قطع مراحل طويلة في هذا المجال.

٤- الحديث النبوي والشعر المعاصر:

كما سبق وأشرنا في الفصول السابقة استعمل الحديث للمرة الأولى في الشعر من قبل عبد الرحمن جامي، ثم ترجم نوائي "أربعين" إلى اللغة الأوزبكية، وتابع محيِّر الذي عاش في القرن الرابع عشر هذا التقليد[٣٨]، ونحن لا نملك معطيات أو وقائع معينة عن استعمال الحديث الشريف في الشعر في الفترة الزمنية الفاصلة بين نوائي ومحيِّر، لذا كان من الصعب الحديث عن هذه الفترة.

عبد الله عارف:

بعد استقلال أوزبكستان عاد الشعر بزخم جديد إلى الموضوعات الدينية، وكان عبد الله عارف هو السبّاق في هذا المضمار، وألف في البداية على أساس أربعين حديثًا مجموعته "حكمت سادة لاري"[٣٩]، ويقول الشاعر في القصيدة الأخيرة من هذه المجموعة "أن سقف البيت لا يغطى بأربعين"[٤٠]، لذلك تابع هذا العمل وأوصل عدد الأحاديث التي شرحها شعرًا إلى خمسمائة حديث وحديثين اثنين، ومن المحتمل أن يكون مستمرا في متابعة هذا العمل، وقد كتب في هذا الصدد:

"يتألف حكمت سادة لاري من أربعين قصيدة، وطبعًا إن هذا العدد رمزي ونحن نود متابعة هذا العمل، وكتبت هذه القصائد على

يعرف قيمة الحياة

ولا يرمي بحجر وراء الميت

فالميت انتقل إلى دار الخلود[٤٣].

كما أشرنا، يتحدث الشاعر أولاً عن الإثم الناتج عن قول كلمات معيبة بحق الميت (هناك مثل سائر عند الناس يقول: الكلب لا يمس الذئب الميت")، فلا أحد خالد في هذه الدنيا، والموتى ينتقلون إلى الراحة الأبدية في دار الخلود، ثم يعبر الشاعر عن نظرته الفلسفية حول عظمة توازن الحياة والطبيعة في قوله: ذعر الفيضان يتحمله النهر وضربات الحياة تتحملها الحياة، والمهر يتحمل رفس المهر، وهذا قانون خالد لايمكن خرقه، مثل قانون منع الأحياء من التفوه بكلام معيب بحق الأموات، فهذا منطقي لأن الميت لا يتمكن من إجابة الحي، لذا يجب عدم إزعاجه، فإذا كنت تود القتال فاطلب شخصًا يعادلك، لقد ذهب الميت إلى المكان الذي يستحقه.

بعد هذا التحضير المعلل يوجه الشاعر القارئ إلى الهدف الأساسي، ويورد حديث الرسول ﷺ كنتيجة منطقية لسير تفكيره.

اعتمدت هذه القصيدة على حديثين شريفين:

١- تذكروا فقط خصائص الميت الطيبة، وانسوا خصائصه السيئة"[٤٤]. ونجد معنى هذا الحديث في مؤلف البخاري "الجامع الصحيح"[٤٥] حيث يقول: "لا تسبوا الأموات، لأنهم

المداخلات الغنائية في أماكن عديدة لتحضير القارئ لفهم أفكاره، ومن ثم أورد أحاديث الرسول ﷺ، وبالنتيجة يبدو النبي محمد ﷺ كمنارة تهدي إلى هذه الفكرة أو تلك حيث تشير إلى طريق حل المشكلة.

يقول عبد الله عارف: "إني أدرك أن النبي محمدًا ﷺ رسولاً يوحى إليه، وأحاديثه هي نموذج لأفضل الكلام وهي تزين المقالات الأدبية، مما جذب بقوة منطقية أجدادنا والأجيال الحالية"[٤٢]. مثلاً:

شرف الموتى

من الممنوع التفوه بكلام معيب بحق الميت

هذا تقليد أجدادنا القدماء

فكر، يا أيها الإنسان

من هو خالد على هذه الأرض

ذعر الفيضان يتحمله النهر

وضربات الحياة تتحملها الحياة

كما يتحمل المُهر

رفسة المهر

يقول النبي: من يعرف الله